الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.
République Algérienne Démocratique et Populaire.
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique.

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة.

معهد الآداب واللغات.
قسم اللغة والأدب العربي.

المرجع: .....

الانزياح المكاني في رواية " شبح الكاليدوني" لـ" محمد مفلاح".

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي.
تخصص: أدب حديث ومعاصر.

إعداد الطالب(ة):
*- يمينة بن داس .
*- إلهام زنتوت.

إشراف الدكتور(ة):
جمال سفاري.

السنة الجامعية: 2018/2017.

بسم الله الرحمن الرحيم

دعـــــاء

من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم.

﴿ربنا لا تآخدنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ البقرة الآية 286.

شكر وعـــرفان

لا يسعنا وقد أنهينا بحثنا بعون الله وتوفيقه إلا أن:

نتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان إلى أستاذنا الفاضل "جمال سفاري" على ما أكرمنا به من حسن رعاية وتوجيه وعلى متابعته وحثه لنا في كل خطوات البحث فتعهد لنا بالسقاية والدعم المعنوي، فكان نعم الموجه وخير قدوة.

ونتوجه بالشكر الكبير للجنة المناقشة التي تسعى لإرشادنا وإخراج هذه الرسالة في أبهى حلة

ونسأل الله أن يبلغنا الغاية ويجنبنا الظلال.

إهداء

إلى القمر الذي أنار حياتي... فنشر فيها الضياء... وبعث بها أمواج الروح وأيقظ منها زهر الكائنات "أمسي".

إلى قامة حياتي ومثلي الأعلى... إلى الذكرى الجريحة... إلى "أبي" رحمه الله وطيب ثراه.

إلى خطيبي "أحمد شوقي" في صبره الجميل.

والشكر موصول لعائلتي الكريمة:

إخوتي: عبد القادر، عبد الباقي، فارس توفيق، نسيم، بلال، عبد الرؤوف.

وأخواتي: شفيعة، سعاد، جويدة و الكتكوتة نظيرة.

وزوجات إخوتي: منيرة، حليمة، أسماء ليندة، سارة، أميرة.

وأزواج أخواتي: نبيل، إبراهيم، رفيق.

وإلى كل من أعانني من قريب أو من بعيد ولو بالكلمة الطيبة.

إهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء إلى "أمي الحبيبة"

إلى من سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء ولم يبخل عليا بشيء من أجل دفعي في طريق النجاح "أبي الحنون"

إلى أخواي العزيزان "ناصر" وزوجته "سميرة" و"فيصل".

إلى خطيبي "حسين" وعائلته الكريمة.

إلى من حبهم يجري في عروقي أخواتي "سهيلة" و"نادية" و"فطيمة" و"رقية" وزوجها "السعيد بولقرون" وأولادهما "منيب" و"مريم" و"حسيبة" و خطيبها "نذير"

وآخر العنقود "شيماء"

وتوأم روحي "نجاة" التي لم تبخل علي بالدعاء وابنة عمتي "تونس" إلى من سرنا سويا ونحن نشق الطريق معا نحو النجاح صديقتي "لهام" وأشكرك على رحابة صدرك وجميلة "مريم" و"زينب" وإلى جميع أساتذتي الكرام الذين زودونا بجميع العلوم والمعارف

يمينة

مقدمة.

مقدمة

استطاعت الرواية العربية عامة والجزائرية خاصة، أن تفرض وجودها في الآونة الأخيرة، وأن تجاري دستور العرب، وقانونهم القار، وهو الشعر.

هذه النهضة النثرية، أو بالأحرى الروائية، ساهم فيها استيعاب الرواية لمختلف الأسس الفنية، إضافة إلى تكيفها ومختلف تطورات المجتمع الثقافية، والسياسية، الاقتصادية والاجتماعية، كل هذا وذاك أدى إلى جعل الرواية تجربة ثرية وزاخرة، تحتضن مختلف الجماليات وتواكب سيرورة المجتمع.

وبما أن الكاتب أو الروائي، هو همزة وصل بين مجتمع القراء، والنص الأدبي فهو قادر على بلورة وترجمة ما جرى وسيجري من مستجدات؛ في واقعه ونفسيته ليصبها في قالب متميز وفريد.

وهو ما استقصيناه في رواية "شبح الكاليدوني" لـ"محمد مفلاح" التي تحاكي شخصية ضيعت مسارها في الحياة نتيجة هواجسها في البحث عن سر لقبها الغريب، لتجده في الأخير راسخا في تاريخ الأجداد وبطولاتهم، وتتحدد معالم طريق هذه الشخصية وتجد ضالتها في حياة لم تحبها وترضى عنها يوما.

وقد كان"محمد مفلاح" صاحب روايتنا من الأقلام التي ساهمت في مسيرة النهوض بالرواية الجزائرية، نتيجة غزارة أعماله، وتمتعه بشعرية متميزة إزاء الانزياح المكاني وتشكيلاته المختلفة.

وكون الانزياح هو النسج اللغوي اللامألوف، وخروج عن القاعدة المعتادة بتشكيل لغة شعرية جميلة، غير اعتيادية، وجديدة، والمكان الذي يعد مسرحا للحياة ومتحركا للشخصيات فقد حظيا بنصيب وافر من الدراسة، لكن وبضم الانزياح إلى المكان، أو ما يعرف بـ"الانزياح المكاني" نجد تقصيرا من قبل الدارسين في هذا الموضوع، وهو ما دفعنا لطرق باب هذا المبحث المهم، الذي غفل عنه كثيرون؛ ونقدَّ منه عنوانا لبحثنا الموسوم بـ"الانزياح المكاني في رواية شبح الكاليدوني" لـ"محمد مفلاح".

وكان من دواعي اختيار هذا الموضوع، محاولة الكشف عن سمات الانزياح المكاني وتقديمه بصورة أكثر وضوحا، مع فتح مزيد من الآفاق لدراسة هذا الموضوع وتلخصت إشكالية المبحث في:

- ما الانزياح المكاني الحاصل في رواية "شبح الكاليدوني" لـ"محمد مفلاح"؟

وانطلقنا من مفهومي الانزياح والمكان وأنواعهما، ثم علاقة المكان بالعناصر الحكائية الأخرى، وحاولنا الإجابة على الأسئلة التالية:

- ما الانزياح الحاصل في دلالات المكان عبر المتن الروائي للرواية المدروسة؟
- ما التقنيات الموظفة في النزياح المكاني في الرواية؟

وقد قامت دراستنا هذه على: مقدمة، وفصلين: الأول نظري والثاني تطبيقي، تلتهما خاتمة.

تناول الفصل الأول ضبط مفهوم الانزياح في الموروث العربي والغربي، قديما وحديثا ثم انتقلنا إلى توضيح أنواعه، لنعرج على ماهية المكان، والفرق بينه وبين الفضاء، ودلالات المكان انطلاقا من أنواعه، وعلاقته بعناصر البناء السردي الأخرى.

وخلصنا في آخر الفصل الأول إلى الجمع بين المبحثين السابقين –الانزياح والمكان– تحت عنوان واحد هو "الانزياح المكاني".

كما اشتمل الفصل الثاني المعنون بـ: "تقنيات الانزياح المكاني" خمسة مباحث هي: أنسنة المكان، تغريب المكان، وشعرنة المكان الذي انقسم بدوره إلى عناوين فرعية تمثلت في: شعرية الانزياح المكاني في العنوان، شعرية السرد والوصف المكاني، ثم شعرية الانزياح المكاني في التناص، أما المبحث الرابع فقد جاء تحت عنوان"أنثنة المكان"، لنختم هذا الفصل بالانزياح في دلالات المكان.

وفي مجمل هذه المباحث أبرزنا رمزية المكان، وتنوع دلالاته وإيحاءاته.

وأنهينا بحثنا بخاتمة.

ومن الطبيعي أن يستعين كل بحث ببعض المصادر والمراجع، أما أهم المراجع فتمثلت في:

- الأسلوبية في شعر المعلقات لـ"عبد الله خضر حمد".
- بنية الخطاب الروائي، دراسات في روايات "نجيب الكيلاني" للدكتور "الشريف حبيلة".
- الأسلوبية الرؤية والتطبيق "ليوسف مسلم أبو العدوس".
- جماليات المكان غاستون باشلار.

وإننا لا ننكر أن هناك مجموعة مراجع عديدة تحدثت عن الانزياح والمكان كل على حدى؛ لكننا وبالرغم من ذلك التمسنا صعوبات منها: اتساع الموضوع، وعدم التطرق إلى موضوع الانزياح المكاني بالتحديد من جهة، وضيق الوقت وبالتالي صعوبة استغلال المراجع المتوفرة من جهة أخرى، إلا أننا حاولنا الإلمام بجميع مظاهر الانزياح المكاني في الرواية، لتجليه وإظهار جماليته.

وفيما يخص المنهج المتبع في هذه الدراسة، فهو المنهج الأسلوبي البنيوي، الذي يعتمد على دراسة العمل الأدبي بمعزل عن أي سياق خارجي.

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل والكثير للأستاذ المحترم: "جمال سفاري"، الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته القيمة والمتواصلة، وصبره الجميل على عثراتنا، ودعاء منا أن يحفظه الله ويوفقه لما يحبه ويرضاه.

وما هذا الجهد المتواضع إلا محاولة ولو بسيطة في مسيرة العلم، رجونا أن نقدم خلالها بصمتنا الخاصة، فإن كان فيه زلة هنا أو هناك فمن تلقاء أنفسنا، وأعظم العبر: هو استيلاء النقص على جملة البشر، فعسى أن لا نحرم أجر المجتهدين، وآخر دعوانا: أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول.

ضبط المصطلحات.

I. تعريف الانزياح.

II. أنواع الانزياح.

III. المكان.

IV. بين الفضاء والمكان.

V. علاقة المكان بعناصر البناء السردي.

VI. الانزياح المكاني.

عد الكثير من الأسلوبيين الانزياح جوهر الإبداع، فهو يعزز شعرية النص ويسمو به جماليا فوق ما هو عادي ومألوف، كما أنه خروج من القاعدة المعيارية وابتعاد متعمد من المؤلف لتحقيق غايات جمالية تكشف نوعا من الحرية الخلاقة، وتفجر العديد من المعاني المغيبة.

I. تعريف الانزياح:

لقد تناول العديد من الباحثين والنقاد والبلاغيين ظاهرة الانزياح لما له من انتشار في الدراسات العربية والغربية وقد ورد مفهومه في بحوث كثيرة.

أ- لغة:

مصدر من الفعل الثلاثي "نَزَحَ: نزح الشيء ينزح نزحا ونزوحا: بعد، نزحت الدار فهي تنزح نزوحا إذا بعدت، وقد نزح بفلان إذا بعد عن دياره غيبة بعيدة".[1]

كما ورد الإنزياح في معجم الرائد كالتالي:"زَاحَ يَزُوحُ: زَوْحًا، زَوَحَ عن مكانه: تنحى عنه وابتعد".[2]

أما في معجم الوسيط:"الإنزياح مصدر الفعل المطاوع: انْزَاحَ: تباعد وزال، نَزَحَ: نَزْحًا ونُزُوحًا: هاجر (نَزَحَ الشعب)".[3]

وورد ذكر الانزياح في القاموس المحيط كذلك أنه:"مشتق من الفعل الثلاثي: زَاحَ فَزَاحَ يَزُوحُ زَيْحًا وزُيُحًا، وزَيْحًا: بَعُدَ، ذَهَبَ كانْزَاحَ، وأَزَحْتُهُ".[4]

ومما قيل سابقا نستنتج أنه يكاد الإجماع ينعقد في جميع المعاجم على أن الإنزياح يحمل دلالة الابتعاد، الزوال، الذهاب والهجرة.

---

[1] – جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صبح إديوسوفت، لبنان، بيروت، تح: خالد رشيد القاضي ج14، مادة "ن.ز.ح"، 1427هـ-2006م، ص: 97-98.

[2]– جبران مسعود: الرائد، دار العلوم للملايين، ط 7، آدار-مارس، 1992م، د.ص.

[3] – إبراهيم مصطفى: المعجم الوسيط، درا الدعوة، باب الزاي، د.ص.

[4]– مجد الدين ين يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة زاح، ص: 222.

ب- اصطلاحا:

رغم اختلاف الآراء حول تحديد مفهوم الانزياح، إلا أنه يبقى باب من أبواب الأسلوبية، والبلاغة والتفسير التي يعمد إليها الكاتب في استقراء النصوص وإخراجها إلى النور، من أجل تحقيق التفرد والإبداع وقوة الجذب بتحريك النفس نحو إثارة التعجب والغرابة.

ب-1- تعريف الانزياح عند العرب القدامى:

اختلفت مسميات الانزياح عند العرب القدامى فكشفت عن مصطلحات عديدة أهمها:

ب-1-1:العدول:

يعد المصطلح الأقرب إلى الانزياح، فقد ورد عند ابن جني على ثلاثة معاني وهي:"الإتساع، والتشبيه، والتوكيد، ويعدل عليها بالمجاز عن الحقيقة".[1]

وقال في العدول في موضع الآخر:"ونحوٌ من تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد اللفظ".[2]

وخصه الجرجاني بالقول:"اعلم أن الكلام الفصيح ينقسم إلى قسمين: قسم تعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ، وقسم يعزى ذلك فيه إلى النظم، فالقسم الأول: الكناية والاستعارة، والثاني هو التمثيل الكائن على حد الاستعارة وكل ما كان فيه على جملة مجاز واتساع وعدول باللفظ عن الظاهر".[3]

أورد الجرجاني لفظة "العدول" للدلالة على ترك طريقة في الصياغة إلى طريقة أخرى أحسن في التعبير عن المعنى.

[1] – عبد الله خضر حمد: أسلوبية الإنزياح في شعر المعلقات، عالم الكتب الحديث، ط1، 2013 م، ص: 16.

[2]– المرجع نفسه، ص: 16.

[3] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أما "ابن الأثير" فقد تطرق لمصطلح "العدول" في مواضع عديد منها قوله:"فالأديب محتاج إلى الترادف بإيراد بعض الألفاظ سعة في العدول عنها إلى غيره مما هو في معناه".[1]

فالأديب على حد قول "ابن الأثير" لا ينطلق من فراغ وإنما يعدل إلى غيره من الكتاب والأدباء عن المعاني والاستزادة منها بشرط أن تكون مترادفة.

ب-1-2- شجاعة العربية:

هي إقدام المبدع وجرأته في إمكانية تطويع اللغة وتكييفها وفق الحاجة الإنسانية.

وعقد ابن جني فصلا في الخصائص سماه "باب الشجاعة العربية"، تحدث فيه عن هذه الأخيرة، وعدها"تكسيرا للمقيس منه وغير المقيس عن طريق التوسع أو الاتساع"،[2] وقصد في هذا القول أن الشجاعة العربية إقدام وخروج عن المألوف إلى معاني جديدة واسعة وانتظار اللامنتظر".

ب-1-3- اللحن:

هو مخالفة المعايير المعتادة بغير تصريح، هذا وقد لامس ابن دريد(312هـ) مصطلح الانزياح من مصطلح اللحن، حين قال:"أن اللحن عند العرب الفطنة"،[3] أي القدرة على سبك الكلام الجيد وتوجيهه إلى ناحية لا يتفطن لها سوى اللبيب العاقل.

ب-1-4- الخروج:

هذا المصطلح تختصره مقولة الأصمعي:"إن الشيء إذا فاق في حسنه قيل له خارجي" [4] وأضاف "أبو الحسن على بن محمد الديلمي" عن الخروج بقوله:"إن الصناعات

---

[1] – عبد الله خضر حمد: أسلوبية الإنزياح في شعر المعلقات، ص: 17.

[2] – حسن سليمان: الاتساع في اللغة العربية عند ابن جني، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1995 م.

[3] – عبد الله خضر حمد: أسلوبية الإنزياح في شعر المعلقات، ص: 21.

[4] – المرجع نفسه: ص: 21.

الخارجة عن المعتاد تدل على انفراد صاحبها بصنعه، لأن الناظر إذا نظر إلى تلك الصنعة البائنة عن الصناعات، جذبته الصناعة الحكيمة".[1]

ومعنى كل ذلك أن الخروج هو الصنعة الحسنة والمنفردة التي تتخطى جواز الحسن إلى الروعة والتميز.

ب-1-5- المحاكاة والتخييل:

تعد المحاكاة إعادة تحوير الواقع عن طريق رؤية المحاكي الخاصة، ونظرية ذاتية للعالم وتمثلاته من حوله، فهي تحسِّن القول وتجمّل هيأته، ومن ذلك قول ابن سينا:"أفضل الشعر ما حسنت محاكاته وهيأته وقويت شهرته أو صدقه، أو خفي كذبه".[2]

أما التخييل فهو العلاقة الفارقة بين الشعر والنثر، فورد عند ابن رشد تحت مسميات عديدة منها:"التغيير والاستدلال، فهو يرادف التشبيه والاستعارة والكناية"[3]

كما أسهب وتعمق في هذا المعنى "القرطجني" فيرى:"التخييل مبدأ معياري معتبر يمنح للعمل الفني وزنه ومكانته"،[4]ومعناه أن التخييل يزيد من قيمة العمل الفني لإحداث تأثير.

ب-1-6- معنى المعنى:

تناوله الجرجاني في قوله:"هو أن تعقل من اللفظ معنى يفضي بك المعنى إلى معنى آخر".[5]

فهو يقصد بقوله أن المعنى هو: الانتقال من التعبير المباشر إلى التعبير الغير مباشر، ومنه تتولد معاني مجازية جديدة تبتعد كليا عن ما هو متداول.

---

[1] – عبد الله خضر حمد: الأسلوبية في شعر المعلقات، ص: 21.

[2] – المرجع نفسه، ص: 23.

[3] – يوسف مسلم أبو العدوس: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار الميسر، ط3، 2013م، ص: 178.

[4] – المرجع نفسه، ص: 178.

[5] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ب-2- تعريف الانزياح عن العرب المحدثين:

تفاوتت مستويات الانزياح عند الأدباء، واختلفت باختلاف النصوص والبيئات والأزمنة، فتعددت الرؤى في فهمه واختلفت الدرجات في تقديره، فالانزياح هو سلوك يجعل اللغة مختلفة كل الاختلاف عن لغة الخطاب العادي أو العلمي وذلك بدعوى الحاجة الفنية.

استعمل "عبد السلام المسدي" في كتابه"الأسلوبية والأسلوب" ثلاثة مصطلحات للتعبير عن هذه الظاهرة اللغوية وهي:

أ- الانزياح كترجمة حرفية للمصطلح الأجنبي"Ecrat".

ب- التجاوز كبديل للترجمة الحرفية الأجنبية.

ج- العدول كمصطلح إحيائي تعارف عليه البلاغيون "l'écrat" قابله مصطلح الانزياح فقال في ذلك:"يمكن أن نصطلح عليه بعبارة التجاوز، أو أن نحيي له لفظة عربية استعملها اللغويون في سياق محدد وهي عبارة العدول".[1]

وأضاف "صلاح فضل" معطى تعريفي للانزياح في قوله:"أنه انتقال مفاجئ للمعنى".[2] فالنثر ينقل أفكارا دلالية أما الشعر فيولد عواطف ومشاعر مختلفة، إذن فكلا النقلتين تثيران طرقا مختلفة في الوعي لكنهما تخلصان إلى ذات المعنى.

ويوضح منذر عياشي مفهوم الانزياح بارتكازه على نوعين:"إما خروج على الاستعمال المألوف للغة، أو خروجا على النظام اللغوي نفسه"[3] وهو في النوعين قصدية للكاتب وكسر للمعايير.

ويعرف نعيم اليافي الانزياح بأنه:"خروج التعبير عن السائد والمتعارف عليه قياسا في الاستعمال،رؤية ولغة وصياغة وتركيبا".[4]

أي أنه فرار من الدائرة العامة المعروفة والمتواضع عليها في رؤى جديدة تختلف فيها الصياغات وتتعدد فيها التراكيب.

---

[1] – عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، دار الكتب الجديدة المتعددة، بيروت، لبنان، ط5، ص: 124.

[2] – يوسف مسلم أبو العدوس: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص: 176.

[3] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وقد وصف "عبد الرحمن مجيد الربيعي" الانزياح بأنه الآلية الأسلوبية الأساس في شرعية الكلام فيقول:"إن الانزياح إذ هو يقوم على المفاجأة والتغير وعدم الثبات، فإنه من البديهي أن يعجز معيار واحد فحسب من تعيينه دائما، ومن ثم فلا مناص من أن تتحاور مختلف المعايير في ذلك، وحسبما تقتضيه تركيبة النص وملابساته".[1]

وأهم مشكلة تعترض الانزياح هي تحديد طبيعة المعيار، وفيه إشارة إلى أن الانزياح يتم دون تكلف أو قواعد، فيبقى عفو الخاطر عبر حركة انتقالية مما هو ممكن إلى ما هو غير ممكن.

كما اقترح "أحمد درويش" ترجمة عربية بديلة لمصطلح"Ecrat" وهو المجاوزة محتجا باقتراب هذا المصطلح من الدرس البلاغي العربي:"ترجمنا هنا مصطلح "Ecrat" بمصطلح المجاوزة واضعين في الاعتبار المصطلحات المقابلة في البلاغة العربية وأولها كلمة المجاز، بمعنى طرق التعبير التي تجري على نسق غير النسق العام".[2]

كما جاء في كلام "موريس أبو ناصر" عن الانزياح "Ecrat" أنه:"ابتعاد الأسلوب عن الكلام المألوف والمستعمل، فقولنا:"سال ماء الوادي" قول مألوف، أما قولنا:"سال الوادي" فابتعاد عن المألوف بالتالي نحن باتجاه ظاهرة أسلوبية تعرف بالابتعاد".[3]

ويورد في الكتاب نفسه:"إن الأسلوب هو نشاز وانحراف عن الكلام المألوف المستعمل".[4]

فيما آثر "عبد الملك مرتاض" واصطفى مصطلح الانزياح على ما أسماه:"الخروق عن المألوف في نسج الأسلوب، بخرق التقاليد المتواضع عليها بين مستعملي اللغة، فكأن الانزياح خرق للقواعد المعيارية للأسلوب، وتكون الغاية من وراء الاستعمال الانزياحي توتير اللغة، لبعث الحياة، والجدة والرشاقة، والجمال، والعمق ... وما إلى هذه المعاني التي تراد من تحريف استعمال أسلوبي عن موضعه".[5]

---

[1] – أحمد محمد ويس: نحو معيار الانزياح، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، 1999م، ص: 34.

[2] – المرجع نفسه، ص: 50.

[3] – موسى ربابعة: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، 2014م، ص: 59.

[4] – المرجع نفسه، ص: 60.

[5] – عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة –قصيدة القراءة–، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، م1، 1900م ص: 30.

ومن خلال هذا الكلام وما سبق نجد عدم استقرار المصطلح النقدي عند الناقدالواحدوفي كل ذلك تعدد للرؤى، وتباين لوجهات النظر.

ب-3- الانزياح عند الغرب:

يعد الانزياح علما قائما بذاته، وهو مفهوم تجاذبته وتعلقت بدائرته مصطلحات وأوصاف كثيرة ومتفاوتة بين الأسلوبيين والبلاغيين، وذلك لرصد الانحرافات الحاصلة في استخدام اللغة،"فنلحظ اختلافا كبيرا في ترجمة مصطلح الانزياح في لغات عديدة، فجاء في الفرنسية تحت مصطلح "l'écrat"،أما في اللغة الإنجليزية ورد بمصطلح "deviation"".[1]

كما تبنى "جون كوهن" "Jean Cohen" مصطلح "الانتهاك "le viol""[2]، وخص الانزياح بحديث مستفيض، فيرى بأنه شرط أساسي لحصول الشعرية، وذلك عن طريق خلخلة المعاني وإعادة تحويرها في حلة جديدة خارجة عن المألوف، لإحداث التأثير المرغوب في المتلقي بتبني عنصر المفاجأة.

وجاء شارل بالي "Charles Bally" ليبين الانزياح على أنه:"كل الطرق والخصائص التي تحول النظام الموضوعي من نموذج معياري إلى كلام إنساني حتى يعبر به المتكلم عن مناسبة خاصة".[3]

في حين ترى الشكلانية الروسية، والسريالية أن هناك انزياحا كبيرا بين اللغة والشعر ومن ذلك قول "آراغون":"الشعر لا يتحقق إلا بقدر تأمل اللغة وإعادة خلقها مع كل خطوة وهذا يفترض تكسير الهياكل الثابتة للغة ولقواعد النحو وقوانين الخطاب"،[4] وفضّل كلمة "العصيان"la transgression""[5] كمرادف لمصطلح الانزياح.

أما فاليري بول "Paul Valery" فنادى بمصطلح التجاوز "l'abus"، وعند ليوسبيتزر جاء الانزياح تحت اسم الانحراف "la deviation".

---

[1] – يوسف وغليسي: مصطلح الانزياح بين ثابت اللغة المعيارية ومتغيرات الكلام الأسلوبي العربي، (مقال) مجلة علامات، عدد 64، مجلد 15، ص: 190.

[2] – عبد الله خضر حمد: أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات، ص: 12.

[3] – يوسف مسلم أبو العدوس: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص: 180.

[4] – عبد الله خضر حمد: أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات، ص: 12.

[5] – المرجع نفسه، ص: 12.

وورد عند تودوروف تيزفتان " Todorov Tzvetan" بمعنيين هما اللحن "l'incorrection" وخرق السنن "la violation des norms".[1]

هذا وقد جاء ميكائيل ريفاتير، "M.Rifatterre" بفكرة تجاوز القواعد اللغوية الموضوعة والخروج عن المعايير الثابتة لخلق طابع متفرد، فقد حصر مفهوم الانزياح في كونه خرقا للمعروف بخلق طابع مميز حيث يقول:"يدقق مفهوم الانزياح بأنه يكون خرقا للقواعد حينا ولجوءا إلى ما نُذِرَ إليه من الصيغ حينا آخر".[2]

وصفوة القول أنه قد تباينت الرؤى واختلفت المفاهيم حول مصطلح الانزياح عند المنظرين الغربيين كل حسب ايديولوجيته وتوجهه، فقد أطلقوا على هذه الظاهرة الأسلوبية تسميات متنوعة توحي باللامألوف، التجاوز، والتخطي.

II. أنواع الانزياح:

يعكس الانزياح قدرة المبدع على استعمال اللغة وتفجير طاقاتها، بتوليد وتشكيل أساليب جديدة، عن طريق كسر الأنظمة والحدود الوضعية، ومن أنواعه نذكر:

أولا: الانزياح التركيبي:

يعد الانزياح التركيبي من اهم الفواعل التي تثري النص الأدبي وتجعله أكثر حيوية وجمالية، لأنه يبين قدرة المبدع على تشكيل علاقات جديدة غير مألوفة، كما أن حضوره في النص يرسم عالما متألقا ومتوهجا يستطيع من خلاله الكاتب ممارسة سلطته على القارئ من خلال المفاجأة والغرابة وخرق القوانين المعيارية للتراكيب، وابتكار المبدع للغة وخلق بنى لغوية جديدة تتسم بالجمالية.

وللانزياح التركيبي صور عديدة تتمثل في: التقديم والتأخير، الحذف، الوصل والفصل، الالتفات.

[1] – عبد الله خضر حمد: أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات، ص: 12.

[2] – عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص: 82.

أ-التقديم والتأخير:

"هو انزياح عن القاعدة الخاصة بترتيب الكلمات"[1]، فيعمد فيه المبدع إلى تحريك وتغيير الكلمات عن مواطنها الأصلية، وذلك لتحقيق غاية جليلة فتصبح له القدرة والحرية في تنظيم دوال الجملة، كما يراه مناسبا، ويتمظهر التقديم والتأخير في:

أ-1- تقديم المفعول به على الفعل والفاعل:

نحو:"إياك نعبد"[2] في تقديم الفعل، ونحو:"ولقد جاء آلَ فرعون النذرُ"[3] وكل ذلك من أجل تحقيق الحصر البلاغي.

أ-2- تقديم الخبر على المبتدإ:

"هروبا من الابتداء بنكرة"[4] نحو:"في الدار رجل"، وبذلك نلاحظ أن الكلمة تركت معناها لتحل محلها كلمة أخرى تؤدي غرضا بلاغيا، ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت في مكانها الأصلي.

ب- الحذف:

هو من الظواهر البلاغية والأسلوبية التي يلجأ إليها المبدع من أجل إثراء نصه أدبيا، وذلك لما له من إمكانات إيحائية تحقق الغرابة والدهشة لدى المتلقي.

ويتمثل الحذف بإسقاط العنصر من الجملة الإسنادية، ويستغنى عنه بالإتيان بقرينة دالة عليه، وذلك لما يضفيه من جمالية،"فيعد الحذف تحولا في التركيب اللغوي، يثير القارئ ويحفزه نحو استحضار النص الغائب أو سد الفراغ كما أنه يثري النص جماليا ويبعده عن التلقي السلبي"[5].

فالحذف يجعل النص منفتحا على مجموعة من التأويلات والدلالات ويجعل المتلقي ليس مجرد مستهلك.

---

[1] – عبد الله خضر حمد: أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات، ص: 69.

[2] – سورة الفاتحة: الآية 05.

[3] – سورة القمر: الآية 41.

[4] – محمد سمير نجيب اللبيدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، دار الفرقان، بيروت، 1985م، ط1، ص: 183-184.

[5] – عبد الله خضر حمد: أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات، ص: 78.

ج- الفصل والوصل:

يعد الفصل والوصل واحدا من المباحث الأسلوبية التي شغلت فضاءا واسعا في علم البلاغة، "فالفصل هو ترك عطف بعض الجمل على بعض بحروفه، أي الاستغناء عن عطف بعض الجمل"[1]، وتكمن جمالياته في زيادة الجملة قوة ودقة وتماسكا.

والوصل "هو عطف بعض الجمل على بعض"[2]، وهو يحقق في كل ثنائية دلالات بلاغية مكثفة ومعاني فنية وأسرار تعبيرية تفهم من خلال السياق.

د- الالتفات:

عنصر من العناصر الفنية الإبداعية فهو: "الانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر أو إنه الانصراف عنه إلى آخر"[3]، فالالتفات انتهاك وتجاوز للنسق اللغوي المعروف.

وبختام الانزياح التركيبي نلج في النوع الثاني من الانزياح وهو:

ثانيا- الانزياح الدلالي:

ويتمثل في خروج الألفاظ والمترادفات من معنى أولي، أو من شكلها العادي ومنطقيتها إلى معاني آخرى، ويتجسد الانزياح الدلالي من خلال الخروج المتعمد إلى ما هو غريب ومدهش بكسر أفق التوقع لدى المتلقي.

هذا الانزياح يشمل مختلف صور البيان من: مجاز وتشبيه وكناية، واستعارة.

ثالثا- الانزياح الصوتي:

يتمثل الانزياح الصوتي في تلك التجاوزات التي يقوم بها المبدع على مستوى الإيقاع وهو نوعان: خارجي والمتمثل في الزحافات والعلل، والثاني المتمثل في الانزياحات الداخلية والمتمثلة في المحسنات البديعية التي يخرج من خلالها إلى ما هو مخالف للعادة.

---

[1] – علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق: محمد المنشاوي، دار الفضيلة، د.ط، د.ت، ص: 140.

[2] – عبد الله خضر ثير داوود: الانزياح التركيبي في النص القرآني، مجلد 1، دروب ثقافية للنشر والتوزيع، عمان الأردن 2016م، ص: 161.

[3] – حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، درا الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1998م، ص: 26.

ومن خلال ما سبق نجد أن: الانزياح الصوتي بنوعيه الداخلي والخارجي، يحدث نتيجة خرق قواعد اللغة، والتي تكشف عن عبقرية المبدع، وعن حسه الفني المتميز في المزج بين الخيال والواقع.

III. المكان:

تنهض البنية السردية على عنصر المكان بوصفه المسرح الذي تجري فيه أحداث الرواية وقد حملت إلينا المعاجم العربية معاني عديدة ومصطلحات متنوعة لمفهوم المكان نحاول عرضها فيمايلي:

أ- المكان لغة:

جاء المكان في لسان العرب "لابن منظور" تحت الجذر "كَوَنَ" أنه:"المكان اشتقاقه من كَانَ يَكُونُ ولكنه لما كثر في الكلام صارت الميم كأنها أصلية، والمكان مذكر ... والمكانة المنزلة، وفلان مكين عند فلان بين المكانة، والمكانة الموضع".[1]

ولكن سرعان ما أعاد الحديث عنه تحت الجدر(مَكَنَ) فقال:"المكان: الموضع والجمع أمكنة كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع".[2]

وقد ذكر "فيروز آبادي" في معجم "القاموس المحيط" على أنه:"من المكانة، هي كالمَكِينَة عند الملك، ومَكَنَ كَكَرُمَ وتَمَكَّنَ فهو مَكِينٌ، وجمعه: مُكَنَاءٌ، والاسم المَتَمَكِنُ: ما يقبل الحركات الثلاث كزَيْدٌ والمَكَانُ المَوْضِعُ، جمعه أَمْكِنَةٌ وأَمَاكِنُ".[3]

ونجد لفظة مكان أيضا في المعجم الوسيط بمعنى:"المَنْزِلَةُ يقال: هو رفيع المَكَانَ والمَوْضِعْ جَمْعُهُ أَمْكِنَةٌ".[4]

كما لم يغفل مختار القاموس لفظة "المكان" وخصها بالذكر في قوله:"فهو المَوْضِعُ ج:أَمْكِنَةٌ وأَمَاكِنٌ. ومَكَنْتُهُ وأَمْكَنْتُهُ منه فَتَمَكَّنَ واسْتَمْكَنَ".[5]

كما ورد "المكان" عند "ابن فارس اللغوي" في كتابة "مجمل اللغة" بقوله:"مَكُنَ... وأما مَكَنَاتُ الطير فهو على معنى الاستعارة، ويقال المكنات"[6] ومعناه أن الطيور تجلس في أماكن ومواضع خاصة بها.

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص: 186.

[2] – المصدر نفسه، ج12، ص: 157.

[3] – مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس العربي، ، مادة:(مَكَنَ)، ص: 1235.

[4] – إبراهيم مصطفى: المعجم الوسيط، مادة (مَكَنَ)، ص: 806.

[5] – الطاهر أحمد الزاوي: مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د.ط، د.ت، مادة(مَكَنَ)، ص: 581.

[6] – ابن فارس بن زكريا اللغوي: مجمل اللغة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986، ص: 837-838.

وفي القرآن الكريم جاءت لفظة مكان في مواضع متعددة بمعاني مختلفة منها قوله تعالى:" إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ".[1] ومعنى "مَكِينْ" في الآية مكانة، وهي الحالة التي يتمكن بها صاحبها من مراده.

وفي موضع آخر قال الله عز وجل:" اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ "[2]ومعناها القدرة على العمل لنيل مرتبة رفيعة.

وفي آية أخرى:"وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا"[3] أي اتخذت لها مكانا نحو الشرق ومعناه الموضع.

ووردت لفظة "مكان" أيضا بمعنى "المنزلة الرفيعة" في آيات عديدة منها قوله تعالى:" وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا".[4]

ب- المكان اصطلاحا:

يعد المكان قطبا مهما من أقطاب البناء التراثي، فهو الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، فلم يبقى مجرد رقعة جغرافية.

ونحاول فيما يلي من فقرات بيان مفهومه عند كل من الغربيين والعرب:

ب-1- عند الغرب:

لامس الكثير من الدارسين الغربيين مفهوم المكان، ومنهم "أرسطو" الذي عرفه بأنه:"السطح الباطن من الجسم الحاوي الماس للسطح الظاهر من الجسم المحوري"[5]

أي أن المكان هو جسد وقلب الجسم المحوري وليس بنيته السطحية.

ويرى يوري لوتمان "Youri Lotman" المكان أنه:"وسيلة من الوسائل الرئيسية لوصف الواقع وينطبق هذا حتى على مستوى ما بعد النص أي على مستوى النموذج الإيديولوجي"[6]، فإذا نظرنا إلى مفاهيم مثل: أعلى، أسفل، أو يسار، يمين... نجد أنها

---

[1] – سورة يوسف: الآية 135.

[2] – سورة الأنعام: الآية 135.

[3] – سورة مريم: الآية 16.

[4] – سورة مريم: الآية 57.

[5] – خليل أحمد خليل: موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ص: 51.

[6] – شهيناز بسمة بن زرقة: المكان في القصيدة الجاهلية، رسالة ماجيستير، إشراف: محمد مرتاض، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2000م، ص: 10.

مصطلحات تستخدم في بناء نماذج ثقافية لا تنطوي على محتوى مكاني فتكتسي هذه المفاهيم معاني جديدة مثل: قيّم، غير قيّم، حسن، سيء.

كما نظر "غاستون باشلار" "G. Bachelard" إلى المكان بأنه:"الذي يعيش فيه الناس ليس بشكل موضعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيز، إننا نجذب نحوه لأنه يكثف الوجود في حدود تتسم بالحماية".[1]

وقد أعطى "غريماس" "Gremas" مفهوما ماديا لمصطلح المكان بأنه:"هو هيكل يحتوي على عناصر متقطعة غير مستمرة، وإن كانت منتشرة عبر امتداد وفق نظام هندسي يسهم في تصوير التحولات المدركة المحسوسة بين الذوات الفاعلة في الخطاب الروائي".[2]

ب-2- المكان عند العرب:

كان للمكان حظ وافر في الخطابات الروائية العربية، فقد تناوله النقاد العرب بالدراسة محاولين التنظير له، ومن بينهم "عبد الفتاح عثمان" الذي تجاوز مفهوم المكان الهندسي إلى دلالته الواسعة التي تشمل البيئة الإنسانية بأدق تفاصيلها من ثقافة وتطلعات، وأحداث وتغيرات، حيث أصبح المكان عنده:"كائن حي يمارس حركته في الخطاب، يؤثر ويتأثر بباقي المكونات الروائية".[3]

ويعرفه لفتة ضياء عني:"المكان هو المحيط الذي تتحرك فيه المؤثرات الخاصة والعامة على الشخصيات والأحداث، ويعتمد تركيب الشخصيات من نواحيها الجسدية والاجتماعية والخلقية على البيئة أو المكان الذي تعيش فيه هذه الشخصيات".[4] فالمكان في هذا القول يرتبط بعناصر السرد الأخرى من أحداث وشخصيات.

وفي تعريف المكان يقول"حسن بحراوي":"هو شبكة من العلاقات والرؤى، ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الذي ستجري فيه الأحداث".[5]

---

[1] – غاستون باشلار: جماليات المكان، ص: 31.

[2] – عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، ص: 122.

[3] – الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي، دراسة روايات نجيب الكيلاني، دار عالم الكتب الحديث، ط1، 2013م ص: 191.

[4] – لفتة ضياء عني: البنية السردية في شعر الصعاليك، دار الحامد، عمان، الأردن، ط1، 2009م، ص: 96.

[5] – حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدرا البيضاء، ط1، 1990م ص: 32.

فالمكان هنا هو العمود الفقري للنص، ومن أهم العناصر المشكلة له، ففيه تدور الأحداث وتتوزع على نطاقه الشخصيات.

ويضيف "ياسين النصير" أنه:"الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه، فقد حمّله بعض الروائيين تاريخ بلادهم، ومطامع شخوصهم فكان وكان: واقعا ورمزا، شرائح وقطاعات، مدنا وقرى، كيانا نلتمسه ونراه أو كيانا مبنيا في المخيلة".[1]

فهو بذلك يحمل المكان دلالات عميقة وكبيرة تنم عن كينونات واقعية ومختلفة فيلعب بذلك المكان دورا مهما في تكوين الكيان الجماعي والتعبير عن المقومات الثقافية والجمالية والتاريخية والتي تسير جميع الشعوب والأمم.

ويرى "اعتدال عثمان" أن المكان هو:"مساحة ذات أبعاد هندسية تحكمها المقاييس والحجوم، كما أنه نظام من العلاقات المجردة يستخرج من الأشياء المادية الملموسة بقدر ما يستمد من التجريد الذهني".[2]فالمكان عنده ليس مجرد ماديات هندسية فقط إنما هو صور فنية ذهنية تلامس هذه الهندسيات المادية.

2- أنواع المكان ودلالاته:

يشكل الروائي أمكنته من البيئة التي عاش فيها وما تركته من آثار على شخصيته كأسطورة تعلق بها أو مكان تاريخي طغى عليه أو مكان ديني انجذب نحوه وللمكان أنواع هي:

2-1- المكان التاريخي:

"هو المكان الذي يمثل تراث أمة في زمن ماض بعيد"[3]، فكان من الواجب التفريق بين المكان التاريخي الطبيعي الذي لم تتدخل يد الإنسان فيه: كوادي الرافدين مثلا، والمكان غير الطبيعي (الاصطناعي) الممتدة إليه أيدي البشر من معابد وقصور وقلاع وحصون كالسور الآشوري القديم فالمكان التاريخي يشير إلى حقائق تدل على شيء من الذكرى

[1] – ياسن النصير: إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ط، 1986م، ص: 395 .396

[2] – غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة: غالب هالسا، المؤسسة الجماعية للنشر، بيروت، لبنان، ط6، 2006م ص: 6.

[3]– جعفر الشيخ عبوش: السرد ونبوءة المكان، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، 2015م، ص: 60.

والحنين بمشاعر ممزوجة بالإثارة والدهشة، والحركة، إضافة إلى المعرفة بالإنجازات التي توحي بالمجد والتفوق، والأمل والعطاء ثم النهوض والازدهار.

2-2- المكان الأسطوري:

هو المكان الذي يقع فيه حدث خارق يكتنفه الغموض مع الإحالة إلى عالم الجن والعفاريت... وحدد "بارت" الأسطورة "بأنها لغة واصفة إستعارية مجازية".[1]

فالأسطورة إذن هي مركب قصص خيالية، وبتلاحمها مع المكان تنتج لنا المكان الأسطوري كمدينة "أوروك في ملحمة قلقامش" والمكان الأسطوري يوحي بلالات عميقة ومتجذرة في الفكر الإنساني منها: الغموض، والخيال، والمثالية، السحر، الإثارة، والتشويق القداسة، كما يتميز المكان الأسطوري بجنوحه إلى مواضيع التكوين(الخلق)، والأصول والموت، العالم الآخر، ومعنى الحياة وسر الوجود واللامنطقية في معالجة المواضيع وبيان الطقوس والأعراف.

2-3- المكان الديني:

"وهو المكان الذي يتصف بقدسية وروحية، فلا دين بلا مكان، فهذا الأخير هو الذي يساهم في نشر أحكام الدين وتعاليمه"[2]، وخير مثال على المكان الديني هي: مكة المكرمة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحقق المكان الديني تميزه، بانفراد دلالاته التي منها: السكينة، الطمأنينة، الإلهام الوحي الطهارة، الصفاء والنقاء، العفة، التسبيح، الراحة النفسية إضافة إلى الفيض الوجداني والنقاء الروحي والقداسة، الخير والأعمال الصالحة فالمكان الديني هو ملاذ العباد وأمان الخائفين.

وإضافة إلى هذه الأنواع فقد ميز "غالب هالسا" بين ثلاثة أنواع أخرى للمكان هي:

2-3-أ- المكان المجازي:

هو محض مساحة لوقوع الأحداث لا يتجاوز دوره التوضيح ليعبر عن تفاعل الشخصيات والحوادث، كما نجده في رواية الأحداث ويكون الأقرب إلى الافتراض ويساعد

[1] – موسى زناد سهيل: الشعر والأسطورة، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، العراق، 2008م، ص: 242.

[2] – جعفر الشيخ عبوش: السرد ونبوءة المكان، ص: 68.

في الترتيب التسلسلي للأحداث، ويوحي بالتغير وعدم الثبات والاستقرار، والتخيل عن طريق الفضاء اللغوي.

2-3-ب- المكان الهندسي:

هو ما تصوره الرواية من أماكن تجري فيها الأحداث بأبعادها البصرية، ويكون محايدا للمكان الروائي فتعيش الشخصيات مساحاته لكنها لا تعيش فيه.

ويحمل المكان الهندسي دلالة: الجمود والانغلاق، السكون وعدم الحركة، وطغيان المادة والبقاء في إطارها الضيق.

2-3-جـ- المكان بوصفه تجربة:

حاملة لأفكار ورؤى ومعاناة الشخصيات، فيستحضره المتلقي عن طريق الخيال باعتباره مكانا متميزا وخاصا، فيخفي في طياته معاني معنوية عديدة على حسب التجربة المعاشة فيحمل الحزن مع الفرح، والشدة والفرج، والألم والشفاء، التأثير والتأثر.

أما "فلادمير بروب"[1]"Vladimir Propp" فقد صب اهتمامه على دراسة مجموعة من الحكايات الشعبية، في محاولة منه لفهم وتعيين أنواع المكان:

أ- المكان الأصل:

ويتمثل في محل إقامة المؤلف وجذوره العائلية، وتتنوع دلالاته بين: العراقة، الطفولة العائلة والأعراف وعادة ما يربط الكاتب بهذا المكان علاقة شوق وحنين إلى الماضي وإلى جوار الأهل والخلان.

ب- المكان الترشيحي:

وفيه تتجسد العرضية والوقتية، "وفيه يحدث الاختبار الترشيحي للبطل"[2] وهو حد من حدود الرواية، وقد يرد ذكره مرة واحدة فقط وهو المكان العرضي الذي يختبر فيه البطل إذا كان قادرا على تنفيذ المهمة التي وكل بها، من دلالاته: التقيد بالوقت، الانحصار المحدودية.

---

[1] – بان البنا: الفواعل السردية، دراسة في رواية الإسلامية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، ط1، 2009م، ص: 29-30.

[2] – أحمد رحيم: المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1433هـ 2012م، ص: 23.

جـ- المكان المركزي:

هو المكان الذي يحدث فيه فعل الإنجاز بحيث"يستقطب كل حيثيات العمل، وإنه نقطة ارتكاز وجذب لكل الأماكن الثانوية"، وهو بمثابة بؤرة الأحداث، ومن دلالاته: المثالية الالتقاء، احتواء الشخصيات بجميع النماذج البشرية من خير وشر، قوة وضعف، وهو أيضا مكان انتقال ومرور.

كما يقسم "غاستون باشلار" المكان انطلاقا من إحساس الفرد إلى نوعين:

أ- المكان الأليف:

هو مادة الذكريات المعاشة الذي يشعر فيه بالألفة والحماية، حيث يعتبر أشد أنواع المكان ألفة "بيت الطفولة" الذي يعد الملاذ الآمن والحضن الهنئ، يقول "غاستون باشلار":"حين نحلم بالبيت الذي ولدنا فيه، وبينما نحن في أعماق الاسترخاء القصوى... وفي تلك المادة لفردوسنا المادي، هذا هو المناخ الذي يعيش الإنسان المحمي في داخله سوف نعود إلى الملامح الأمومية للبيت".[1]

وهذه الأحاسيس الجياشة لا تقتصر على البيت فقط وإنما تتعداه للقرية والغرفة والمدينة.

وإن ما يميز المكان الأليف أنه يحمل عديد الدلالات فيأتي في كونه أكثر انفتاحا على مخيلة المبدع وإلهاما لذائقته الفنية، فيمنحه الأمان والعطاء، ويزيد من انسجام الإنسان مع محيطه، فينطوي هذا المكان على إرادة العطاء والمشاركة والإيمان والحب والدفء والحماية والهدوء والذكريات الممتعة كما أن الألفة تعني أيضا الاجتماع والالتئام والمؤانسة.

ب- المكان المعادي:

"هو عكس المكان الأليف، وضده فهو مستوى معاكس للمستوى السابق شعوريا يحمل أفقا سلبيا منبوذا من ذات الكائن"[2]، فيشعر الإنسان نحوه بالعداء والوحشة والضيق وهذه الأماكن كثيرا ما تفرض التبعية الفكرية والإقامة الجبرية كالمعتقلات، والسجون المنفى...

---

[1]- غاستون باشلار: جماليات المكان، ص: 42.

[2] - جعفر الشيخ عبوش: السرد ونبوءة المكان، ص: 105.

وهذه الأحاسيس المكانية لا تقتصر على الفرد فقط، وإنما تنطلق من الروائي الذي يسقط إحساسه الشخصي على جغرافية المكان المأخوذ من الواقع المعاش بطريقة فنية ممزوجة بالخيال والمثاليات مع لمسة من الواقع لضمان عدم فقدان العمل الأدبي لجماليته.

ووجود المكان المعادي ذو الأثر السالب، يجسد إيحاءات سالبة عديدة منها الخوف واليأس والانزعاج وإخفاء الهموم والمعاناة، كما يعبر أيضا عن مرارة الهزيمة والضياع.

فالأمكنة العدائية عادة ما تكون مصدر سلب وإعاقة لحرية الإنسان وحركته، أي أنها ذات فعالية غير إيجابية تحد من طاقة الإنسان وتطلعاته المادية والمعنوية.

كما ينقسم المكان الواقعي بحسب تكوينه إلى قسمين هما:[1]

1- المكان الطبيعي:

هو المكان الموجود منذ الأزل، والذي لم يتدخل الإنسان في تحويره وتغيير ملامحه ومعالمه، فيبقى على هيأته الأولى، كالغابات والشلالات والأنهار... الخ.

ويتسم المكان الطبيعي بـ: الحقيقة الجلية الخالية من الزيف، والوضوح، والسكون والاسترخاء، والهدوء الذي يبعث على الراحة النفسية والطمأنينة، والتمتع بالجمال الأصلي.

2- المكان الاصطناعي:

"هي الأمكنة التي أنشأها الإنسان ومنحها طابعا خاصا بما يلائم ميوله ونفسيته مثل: المدن، ناطحات السحاب، المدارس، الكليات... الخ".[2]

ويمكننا مقاربة المكان الاصطناعي من تراكمات دلالية أهمها: الثقافة، والعصرنة وما تخلفانه من التكيفات النفسية والإيديولوجية والاجتماعية، إضافة إلى الغربة والمعاناة والاستبداد السياسي، والحيرة والضياع في الفضاء الاصطناعي الواسع، والقلق الدائم والضجيج وخسارة الوقت، في حين هناك من الناس من يرى المكان الاصطناعي، مكان للحضارة والجمال والراحة، وسهولة الحياة بتوفر جميع شروط الرفاهية.

---

[1] – ينظر: حبيب مؤنسي: فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية، إتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق سوريا، 2001م، ص: 96.

[2] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

"أما التقسيم الثاني للمكان الواقعي إنطلاقا من مساحته هو:"[1]

1- المكان المفتوح:

هو المكان الواسع الأفق، والمتسع الحدود، فهو ممتد ومشاع لذى الجميع مثل:"الطريق في رواية "قاتل حمزة" لنجيب الكيلاني، فالمكان يمارس حضوره متحررا من الحدود المكانية والسمات الحضارية في سبيل البحث عن الحرية المفقود والتحرر من قيود العبودية".[2]

وفعالية المكان المفتوح ترتبط بدلالات عديدة منها: اللامحدودية واللاستمرار، فيمنح مرتاده الفرح والاتساع ويكسر أغلال الإيطارية والمحدودية ليتجه نحو الحرية المطلقة المليئة بألوان الحياة البهيجة بالانفتاح على العالم.

2- المكان المغلق:

هو الحيز الضيق الذي يكون الإنسان فيه محصورا في إطاره كالسجن الذي هو استلاب للوجود، وإهدار للحياة وانتهاك لكرامة الإنسان وحريته.

فيقترب بدلالات ومعاني: الانطواء والكبت والاضطهاد كما تكون صور المكان المغلق موسومة بالضيق والعتمة والانغلاق، فيكشف عن مواقف تحاكي مرارة العيش وعذاب الروح من جهة، وتقييدا للأحلام والآراء من جهة أخرى.

"كما يمكننا أن نجد تقسيما يضع المكان في أربعة أنواع حسب السلطة التي تخضع لها الأماكن وهي:"[3]

1- المكان اللامتناهي:

ويكون هذا المكان خاليا من الناس ولا يخضع لأية سلطة، فهو مكان فضفاض ويبعث في النفس المتعة والراحة وتكمن دلالته في: الشساعة والامتداد والتواصل، والرحابة

[1] – ينظر: حبيب مؤنسي: فلسفة المكان في الشعر العربي، ص: 100-103.

[2] – الشريف حبيلة: بنية الخطاب الراوي، ص: 244.

[3] – بان البنا: الفواعل السردية، ص: 28-29.

غير المحدودة، فلا يخلو المكان اللامتناهي الأفق الممتد المليء بالأمل اللامنقطع من ناحية، كما يرمز للضياع والعبثية والتيه من ناحية أخرى، إضافة إلى الانبعاث و التجديد

2- المكان العام:

ومن اسمه نشتق ماهيته، فهو المكان التابع للسلطة العامة على خلاف الخواص يخرج فيه الإنسان من عالمه السري الشخصي، ليستقبل فيه كل فئات المجتمع.

ومن دلالاته: حرية الفرد في الحركة، والخروج من الأنا والانفتاح على الآخر ومشاركته الرؤية والفكر، من أجل إحياء روح المكان وتجسيد خصائصه النابعة من حيوية الواقع الاجتماعي، والسياسي والثقافي، بالإضافة إلى قابلية التأثر والتأثير.

3- عندي:

ويكون مكانا منسوبا للفرد التابع له، وعادة ما يكون مكانا حميما، نشعر فيه بالألفة وحرية السلطة والتصرف.

4- عند الآخرين:

وهو المكان الذي أخضع فيه لتبعية الغير وسلطتهم، حسب أوجه الاعتراف بهذه التبعية.

فهذان النوعان الأخيران يوحيان : بالحرية ،السيطرة،الهيمنة عن طريق إقصاء الآخر،حب التملك مع الحرية الممزوجة بالأنانية و التبعية.

وفي الأخير نستنتج أن:"المكان هو الجغرافية الخلاقة في العمل الفني"[1]، ونتيجة لأهميته البالغة فقد التفت الروائيون إليه لجعلوا منه إطار لأحداث قصصهم ومتحركا لشخصياتهم، فنهض المكان كبطل يصنع المفارقة في الروايات الحديثة والمعاصرة.

[1] – ياسين النصير: الرواية والمكان، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1986م، ص: 18.

IV. بين الفضاء والمكان:

يعد المكان ذلك الكيان أو التشكيل الذي صنعته اللغة انصياعا لأغراض التخييل الروائي، وعند ذكر اسم المكان يذكر معه الفضاء.

وهناك خلط كبير في الدراسات الأدبية بين الفضاء والمكان، وبما أننا تطرقنا لمفهوم المكان سابقا، فلابد لنا كذلك من تحديد لمفهوم الفضاء لتداخلهما.

أ- الفضاء لغة:

تطرق ابن منظور في لسان العرب لمصطلح الفضاء في قوله:"الفعل فَضَا، يَفْضُو فَهُوَ فَاضٍ، وَفَضَى المَكَانُ وَأَفْضَى إِذَا اِتَّسَعَ، وَأَفْضَى فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ إِذَا وَصَلَ إِلَيْهِ، وَأَصْلُهُ أَنْ صَارَ فِي فَضَائِهِ وَحَيِّزِهِ، وَالفَضَاءُ العَالِي الوَاسِعُ مِنَ الأَرْضِ"[1]وهنا تشير لفضة الفضاء للدلالة على الإطار أو المكان الواسع من الأرض.

ب-الفضاء اصطلاحا:

"فهو الحيز الزمكاني الذي تظهر فيه الشخصيات والأشياء متلبسة بالأحداث تبعا لعوامل عدة، تتصل بالرؤيا الفلسفية، وبنوعية الجنس الأدبي وبحساسية الكاتب أو الروائي"[2]. فالفضاء الروائي يرتبط بالمكان والزمان، بل ويدخل في علاقات مع المكونات الحكائية الأخرى بحسب شعور الكاتب ونوع الجنس الأدبي المكتوب فيه والمنظور الفلسفي في الموضوع المكتوب عنه.

والأمكنة في الروايات هي مادة داخل النص، حيث نجد أن هناك تغيبا لأمكنة وتقدم أمكنة أخرى في سياق الحوار والسرد، ومجموع هذه الأمكنة هو ما يبدو ومنطقيا أن نطلق عليه اسم الفضاء.

[1] – ابن منظور: لسان العرب، مادة(فاض)، ص: 15-16.

[2]– منيب محمد البوريمي: الفضاء الروائي في الغربة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1983م، ص: 21.

"لأن الفضاء أشمل وأوسع من المكان، والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء"[1]. ومادامت الأمكنة في الروايات غالبا ما تكون متعددة ومتفارقة، فإن فضاء الرواية هو ما يلفها جميعا.

فالأماكن المحددة تعتبر أكوان صغرى، والفضاء هو ما يجمعها في إطارها الشامل.

لكن هناك من الدارسين من رأى أن الحيز المكاني في الرواية هو الفضاء، "فالروائي لا يقصد بالمكان، الفضاء الجغرافي فحسب، وإنما التصورات المختلفة والمتخيلة من أجل تحريك خيال القارئ وتحقيق اكتشافات منهجية للأماكن".[2]

ومن هذا القول نستنتج أن الفضاء والمكان وجهين لعملة واحدة.

ب- علاقة المكان بعناصر البناء السردي:

ارتبط المكان بمختلف مكونات العمل الروائي من (شخصية، زمن، وأحداث) وتكاثف معها لإرساء دعائم العالم الروائي، وأيد هذه الفكرة "عبد الملك مرتاض" حين قال:"لا سبيل للفصل بين مكونات الرواية، والنظر إليها على أنها أجزاء مشتة، لأن ذلك لا يكون وفيا لصورة الكتاب السردية التي ينهض بناؤها على اندماج العناصر"[3]

أ- علاقة المكان بالشخصيات:

تؤدي الشخصية دورا فعالا في مجمل الأعمال الأدبية، إذ أنها أساس الحدث الواقع في مكان معين.

فالشخصية:"عنصر مصنوع، مخترع ككل عناصر الحكاية فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها ويصور أفعالها وينقل أفكارها".[4]

---

[1] – صالح ولعة: المكان ودلالته في رواية مدن الملح، عالم الكتب الحيث، ط1، إربد، الأردن، 2010م، ص: 50.

[2] – ويليك ووراين: نظرية الأدب، ترجمة: محي الدين صبحي، د.ط، سوريا، 1972م، ص: 39.

[3] – عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، ص: 223.

[4] – لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، ط1، 2002 م، ص: 114.

فهي عنصر مهم وفاعل أساسي في الربط بين الأمكنة، وإذا تجردت من علاقتها مع المكان أصبح من الصعب تمييز ملامحها، لأن"علاقة الشخصية بالمكان هي ما يكشف عن مستوى التداخل أو الانفصال الذي يخضع –بالضرورة– لتوجهات الروائي".[1]

فالروائي يوجه الشخصية ليعبر عن المكان الملموس من خلال تعدد الأفكار والأحاسيس، التي يكون فيها المكان نقطة ترابط الأماكن السابقة بالأماكن اللاحقة.

كما يعكس المكان أيضا نفسية الشخصية ويكشف عن هويتها وأنماطها، فتتحرك في إطاره كقوة فاعلة ومؤثرة.

وإذا كان للمكان خصوصية وهوية معينة فإن ذلك يعكس بعضا من جوانب الشخصية الإنسانية، وخير مثال على ذلك، "عبد الرحمن منيف" الذي أضاء جوانب كثيرة في تكوين الشخصية العربية، من خلال الطبيعة الصحراوية.[2]

أي أن الصحراء وهي المحيط أو المكان، انعكست مظاهرها على سكانها وهم الشخوص الذين يمتازون: بالسمرة، والطول، والقساوة، والصبر... إلخ.

وبالتالي نستنتج أن: المناخ أو المكان يعمل بشكل ما على ترك بصمات عميقة في البنية النفسية والتكوينية للشخصيات، فتتكيف حسبه، وتكتسب سماته، وبالمقابل لا يتشكل البناء الروائي إلا بظهور الشخصيات واختراق الأبطال لهذه الأمكنة.

ب– علاقة المكان بالزمن:

إن الزمن:"وسط متجانس، غير محدود تمر في الأحداث متلاحقة"[3].أو هو:"المدة الواقعة بين حادثين أولهما سابقة وثانيهما لاحقة".[4]

---

[1] – أحمد عزّاوي: بناء الشخصية في الرواية، منشورات إتحاد كتاب العرب، ط1، 2007 م، ص: 189.

[2] – ينظر: محمد علي شوابكة: ثنائيات في السرد، دراسات في المبنى الحكائي العربي، مادبا، مدينة الثقافة الأردنية، ط1 2012 م، ص: 26.

[3] – مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ج1، 1983م، ص: 95.

[4] – المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

ومنه فالمكان عموما يرفض أية تصورات لا تربطه بالزمن وببقية العناصر الحكائية الأخرى؛ لأننا"لا نستطيع أن نميز فيما بين الأشياء إلا من خلال وضعها في المكان، كما لا نستطيع أن نحد الحوادث إلا من خلال تأريخ وقوعها في الزمن".[1]

هذا وقد عد "الزمن من أبعاد الظاهرة المكانية"[2] فنتج يذلك مصطلح الزمكانية فالزمان يمثل الحركة نفسها وتطورها في حين أن المكان يعد الخلفية التي تقع فيها الأحداث فهما شيئان متلازمان بمثابة القلب للجسم.

"فإن كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث، فإن المكان يظهر على هذا ويصاحبه ويحتويه".[3]

إن الزمن يرتبط بخلجات النفس وإدراكاتها المعنوية اللامرئية، أما المكان فيرتبط بالإدراك المادي الملموس والمحسوس، وكلاهما يرتبطان لتوضيح الأحداث والتعبير عنها.

وفي الأخير نستنتج أن تشكيل الأمكنة يصنعه إيقاع الزمن، لأن المكان مسكون بنبض الحقب التاريخية التي تحتوي الأشياء والعالم، وتحمل مقومات الوجود الإنساني.

جـ- علاقة المكان بالحدث:

يعرّف الحدث أنه:"رصد الوقائع التي يفضي تلاحمها وتتابعها إلى تشكيل مادة حكائية"[4]، فالحدث إذن: هو مجموعة الوقائع المنتظمة والمواقف المتوالية في المكان، وهو ما يعطي للرواية تماسكها وانسجامها. لارتباطه بالبيئة التي تعد أحد العوامل الأساسية التي يقوم عليها.

---

[1] – سيزا قاسم: جماليات المكان، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، ط2، 1988م، ص: 59.

[2] – خالد حسين حسين: شعرية المكان في الرواية الجديدة، مؤسسة اليمامة الصحفية، ط1، الرياض، 2010م ص: 94.

[3] – سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م ص: 102.

[4]– عبد الملك مرتاض: ألف ليلة وليلة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1989 م، ص: 19.

ويذهب "شارل غريفل""Charles Gravel" إلى اعتبار مكان الرواية هو الذي يكتب أحداث القصة ومجرياتها قبل أن تسطرها يد المؤلف؛ فيقول:"إن المكان في الرواية هو خديم الدراما فالإشارة إلى المكان كافية كي تجعلنا ننتظر قيام حدث ما، وذلك لأنه ليس هناك مكان غير متورط في الأحداث".[1]

فالمكان هو المسرح الذي تُجَسَّدُ فيه وقائع الرواية، والمحطة التي تجري فيها الأحداث.

وفي الأخير نستنتج أنه لم يأتي المكان بمعزل عن العناصر المكونة للعمل السردي فقد برز مرتبطا بها ارتباطا شديدا، مما أدى إلى صعوبة الفصل بينهما، فقام باحتضان الزمن، وارتبط بالشخصية الروائية، وكان الرقعة الشاسعة التي دارت فيها الأحداث.

فأصبح هو الوعاء الذي يضم مختلف هذه العناصر لينهض بالعمل الروائي، ويقدمه للقارئ أو المتلقي في أبهى صورة.

VI. الانزياح المكاني:

شكلت ثنائية الانزياح والمكان ازدواجية متميزة؛ وعلاقة فارقة في النهوض بالعمل الروائي فنيا.

فالانزياح المكاني يعد: استنساخ الواقع بتشكيل صور جديدة مبنية على أساس التخييل، الذي يهدف به الأديب إلى المجاوزة، والابتعاد عن الصورة النمطية المتعارفة لدى الجميع، فتكون نظرته متسعة ممزوجة بنوع من الغرابة والمفاجأة، بحيث لا ينقل الأشياء والأماكن كما هي وإنما يحورها، ويلبسها ثوب غير مألوف، ويستنطق الدلائل العميقة التي لا يستطيع غيره الوصول إليها، والتعبير عنها.

فينزاح بخياله عن المكان المادي المرئي، إلى مكان مليء بالأحاسيس المختلطة لكنه يخضع بالمقابل لمحددات تاريخية وثقافية تفرضها عليه البيئة ويحتمها عليه المناخ

[1] – حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص: 30.

نتيجة للأثر الداخلي المعتدي والمغتصب، الذي يُذكِّر الكاتب بما مر عليه من عبرات وضحكات في ذلك المكان.

ومن خلال هذه المشاعر يُصبغ المكان بصبغة الذكريات، فينزاح عن معناه المادي المجرد، ليصبح قلب الماضي ولسانه الخفي، فيحكي فرحه وألمه بتخفيه بين السطور والكلمات، فتتقلب بذلك أدوار الأمكنة لتشكل صراعات وثنائيات مضادة وأوجها متنافرة تستبق أحداثا وتسترجع أخرى، في حركة من المد والجزر لتحاك بذلك خيوط العمل الفني وتنسج تفاصيله، في رقعة شاسعة تمتاز بحس جارف، لامألوف.

وبذلك يقف الانزياح المكاني مسرحا متميزا، لحوار يحقق الفرادة والتميز.

الفصل الثاني.

تقنيات الانزياح المكاني.

1 - أنسنة المكان.

2 - تغريب المكان.

3 - شعرنة المكان.

4 - أنثنة المكان.

5 - الانزياح في دلالات المكان.

إن اتجاهات الكتابة الروائية بما تحمله من تصورات عن العالم والواقع، تتحدد دائما بطبيعة التعامل مع التقنيات الروائية، ومنها تقنية وصف المكان؛ فهو يعتبر من أهم المظاهر الجمالية في الرواية العربية المعاصرة، لأنه يساهم في خلق المعنى بداخل الرواية وفي الآونة الأخيرة لم يعد المكان سلبيا أو تابعا للعمل الروائي بل تخطى ذلك ليعرض وجوده كعنصر أساسي يضفي صفات جمالية، وقد يحمل ملامح إنسانية وأنثوية، مع شيء من الغرابة والعجائبية، فيحقق التأثير ويتفاعل مع أجزاء الرواية ليكون محورها وساحتها بحيث لا يمكن تصور العمل الأدبي دون عنصر المكان.

وهذا ما التمسناه في روايتنا"شبح الكاليدوني" لصاحبها"محمد مفلاح"؛ حيث وجدنا فيها أوجها عديدة للمكان ساهمت بشكل أو بآخر في قيام البنية الروائية، والنهوض بالعمل جماليا؛ وتمثل ذلك فيما وجدناه من انزياحات عديدة فتحت لنا الباب الواسع لعديد التأويلات والكثير من الاستقراءات.

وقد أمكننا تتبع الانزياحات الحاصلة على المستوى الدلالي للمكان إحصاء خمسة أنواع، كانت قد حملتها الرواية في طياتها وهي: أنسنة المكان، أنثنة المكان، تغريب المكان شعرنة المكان وأخيرا الانزياح في دلالات المكان.

1- أنسنة المكان:

ويقصد بأنسنة المكان، إضفاء الطابع الإنساني على المكان بتبادل عملية التأثير والتأثر، أي أنه يقوم بعملية المشاركة الحية في مضمون الحياة اليومية فيصبح بذلك وسيلة تشكيلية فاعلة في الرواية.

وعرفه "مرشد أحمد" بقوله:"إنه رؤية فائقة، لا تخضع للمقاييس المنطقية ولا لتشابه الاحداث الواقعية، يضفي فيها الفنان صفات إنسانية محددة على الأمكنة والحيوانات والطيور والأشياء، فظواهر الطبيعة حين يشكلها تشكيلا إنسانيا ويجعلها كأي إنسان تتحرك وتحس وتعبر وتتعاطف، وتقسو حسب الموقف الذي أنسنت من أجله"[1]

ومن نماذج أنسنة المكان في رواية "شبح الكاليدوني" نجد: أن الكاتب "محمد مفلاح" يؤنسن العمارة في صفحات عديدة ومتفرقة من الرواية في قوله:"العمارة المرتجفة من أهوال الطبيعة"[2]، ويضيف في مقطع آخر:"العمارة مثل أي كائن حي هرمت حتى أصبحت هشة منبوذة"[3].

وقال أيضا:"ازدادت حزنا وهشاشة، وكأنها شعرت بيتمها الرهيب... تثير شفقة كل من يراها... رغم هيأتها المهترئة فهي لا زالت ثابتة في صمت جنائزي رهيب"[4].

تحولت العمارة من مجرد جماد هندسي إلى كائن حي له شعور، أو إنسان أنهكته الدنيا وهمومها حتى شاخ، وهرم وأصبح ضعيفا، ومثيرا للشفقة، وغير قادر على مجابهة الصعاب والظروف.

كما اسقط السارد السمات البشرية على أماكن مختلفة ومتعددة في الرواية ليبث فيها الروح ويكسبها الشعور بعدما كانت أمكنة جامدة منها: الدرج الإسمنتي للعمارة الذي:"أرهقته

---

[1] – مرشد أحمد: أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1 2003م، ص: 07.

[2] – محمد مفلاح: راوية شبح الكاليدوني، ص: 09.

[3] – المصدر نفسه، ص: 07.

[4] – المصدر نفسه، ص: 11-12.

أحذية سكانها"[1]، ونوافذ الشقة التي جعلها كإنسان مسجون في قوله:"وسجن كل نوافذ الشقة بشبابيك حديدية"[2].

وفي موضع آخر جعل "محمد مفلاح" بلد أمريكا كأنها أيدي إنسان أو بالأحرى طفل صغير، تلعبان بدمية اسمها العرب فقال:"أمريكا تحرك العرب كالدمى"[3] وهو انزياح مكاني دال على ضعف العرب، وانعدام رأيهم حتى أصبحوا كالدمى في أيدي أمريكا المهيمنة.

وفي رسم صورة الجرافات القادمة لهدم بناية "امحمد شعبان" قال الراوي على لسان البطل:"فالجرافات الضخمة الصفراء تنتظر لحظة الإذن بنهش جسدها المتهالك"[4]، فجسد العمارة أو بالأحرى العمارة أصبحت إنسانا تنهش جسده الضعيف الجرافات القوية.

وفي أثناء عتاب صديق البطل له قال:"لا تدع الإدارة تبتلعك"[5]، فالراوي صور الإدارة وهي تقوم بعملية خاصة بالإنسان وهي الأكل والابتلاع.

ومن نماذج الانزياح المكاني الإنساني أيضا، وصف السارد لطريق "امحمد شعبان" في رحلة البحث عن قبر جد والده:"والشمس تجلد الطريق رقم 23 ذا المنعرجات الخطيرة"[6] وهي صورة حافلة بالأنسنة المكانية؛ ترسم طريقا معذبا تجلده الشمس، تبين قدرة الراوي على التلاعب بالألفاظ والتعابير، لإيصال المعنى إلى المتلقي بصورة جمالية ومفهومة.

ويضيف "محمد مفلاح" على لسان "الحاج عبد القوي":"أجدادنا الذين قاوموا الغزاة لنعيش في دولة حرة"[7]، فالراوي هنا أنسن الدولة ليجعلها عبدا أسيرا ظفر بحريته على يد الأجداد الذين كافحوا وجاهدوا واستشهدوا، ليعيش الجيل القادم بسلام.

---

[1] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني، ص: 12.

[2] – المصدر نفسه، ص: 23.

[3] – المصدر نفسه، ص: 29.

[4] – المصدر نفسه، ص: 49.

[5] – المصدر نفسه، ص: 75.

[6] – المصدر نفسه، ص: 98.

[7] – المصدر نفسه، ص: 31.

كما كرس السارد التجاوز اللامألوف في عرضه لصورة تفكير "الحاجة صفية" التي:"تعتقد أن الدنيا تنكرت لها ولأسرتها"[1].

لينزاح في هذا القول بكلمة الدنيا كلفظة دالة على فضاء واسع من الأمكنة المتعددة ليجعلها إنسانا ناكرا للجميل، غير آبه بالظروف المزرية والحالة السيئة التي تعيشها عائلة"الحاجة صفية".

ليصل بنا الراوي إلى أنسنة القلب أيضا في قوله:"يا لها من أبيات مؤلمة مزقت قلبه المرهق"[2].

ليجعل الكاتب هنا قلب بطلنا إنسانا أرهقته تلك الأبيات الشاعرية من القصيدة الشعبية، وأثقلت كاهله بالمآسي والآلام.

وفي الصفحة الرابعة والخمسين من الرواية، نجد قول البطل "امحمد شعبان" في مقابلته الصحفية مع المذيعة:"انظري إلى هذا الشيخ المقهور، إنه يعيش في كوخ حقير"[3]، وفي ثنايا الرواية أيضا أكسب الراوي الوطن صفة إنسانية في قوله:"الوطن الحائر"[4]، ليتضح لنا ومن خلال المقطعين السابقين من الرواية أن الكوخ والوطن عودل بهما إلى التصوير الإنساني الموسوم بالحقارة والحيرة.

وفي إطار حديث الراوي عن جد والد البطل، ذكر أماكن عديدة منها قوله:"طاب للشيخ سيدي امحمد الراجي المقام ببلدة العين التي تحتضنها منطقة الجبل الأخضر"[5].

ليصور لنا منطقة "الجبل الأخضر" كأنها إنسان له أحضان يحتضن فيها بلدة العين فهي كالطفل الصغير الذي تحتضنه أمه والمتمثلة في الجبل الأخضر.

---

[1] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني، ص: 34.

[2] – المصدر نفسه، ص: 43.

[3] – المصدر نفسه، ص: 54.

[4] – المصدر نفسه، ص: 53.

[5] – المصدر نفسه، ص: 57.

ليعرج بنا نحو الجزيرة عندما قال:"تلك الجزيرة التي احتضنت آلام المرحلين"[1]، فقد انزاح بمدلول المكان (الجزيرة) من معنى البقعة من الأرض التي يضمها ماء البحر من كل الجهات، إلى معنى إنسان يعطف ويحتوي آلام المرحلين كاحتواء الأم لابنها الصغير.

كما أنسن "محمد مفلاح" أراضي سهل مينه:"أراضي سهل مينه التي اغتصبها الكولون"[2]، فهو أكسب المكان صفة الإنسان الذي سلبت حقوقه، وتم التعدي عليه وإذاعة الرعب في كيانه، فكابد المعاناة ولاقى الأمرين.

وانزاح الراوي بكلمة البيت ليعطيها وجوها إنسانية متعددة فصورها تارة في هيئة إنسان غير متكبر في:"بيته المتواضع"[3]، وتارة في هيئة إنسان شريف في:"بيت شريف"[4].

كما لم يقتصر "محمد مفلاح" في هذه الصياغة على الصفات الفضيلة فقط وإنما نحى بالبيت كذلك ليجعله إنسانا يحمل صفة منبوذة، ألا وهي المجون في قوله:"البيوت الماجنة"[5].

وامتدت أنسنة الراوي لتشمل مناطق مختلفة من أرياف وبيوت وتتعدى ذلك إلى المدينة وبناياتها، فقال فيها على لسان البطل"امحمد شعبان" الذي تحرر من قيودها:"نحن شوهتنا المدينة... أحس أنه تحرر من البنيات الأسمنتية... وسجن ديوان الثقافة"[6].

فبطلنا عد المدينة جيشا إنسانيا، قام بتشويه شخصه وحصاره ثم سجنه وتضييق الخناق عليه، وبمغادرته لهذه المدينة أحس أنه كسر أغلال التبعية التي كانت تربطه بها لينعم أخيرا بالحرية.

---

[1] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني، ص: 68.

[2] – المصدر نفسه، ص: 79.

[3] – المصدر نفسه، ص: 63.

[4] – المصدر نفسه، ص: 65.

[5] – المصدر نفسه، ص: 82.

[6] – المصدر نفسه، ص: 90.

ويعود الراوي من جديد ويتحدث عن الريف الذي غيرته العشرية السوداء وطمست معالمه النيرة، وينزاح به نحو صفات معنوية تخص الإنسان فيقول:"حتى الريف لم يعد طاهرا وبريئا... اختفت حياة البراءة في الأرياف؟... الريف الذي شهد كل أنواع الرعب كان غارقا في عالم آخر يشبه سجنا قذرا"[1].

انزاح "محمد مفلاح" بالريف ليؤنسنه ويجعله يعاني مختلف أنواع الرعب والسجن والحصار، ويصبح إنسانا يشكل بؤرة الرعب والقذارة.

كما لم يغفل الراوي أنسنة الطبيعة بمختلف تفاصيلها، فقال:"لم تستطع الغابة مقاومة الحرارة الجهنمية"[2]. فالغابة هنا صورة لإنسان خارت قواه من الحرارة الشديدة، ولم يعد قادرا على تحمل المزيد.

وجعل "محمد مفلاح" للأمكنة قلوبا تحس بها في قوله:"في قلب غابة موحشة"[3]، "في قلب الونشريس"[4]،"قلب الوادي"[5].

فهو هنا جمع بين متناقضين إثنين في كل عبارة، ليكسب شيئا جامدا قيمة معنوية لتعزيز المعنى وتقويته، وهو الهدف نفسه لـ"محمد مفلاح" في عبارة"المكان الكئيب"[6]. فقام بأنسنة هذا المكان ليبين مقدار وحشته وطغيان معالم الكآبة عليه.

وفي المقطع الثاني والعشرين، ذكر السارد قبر "امحمد الكاليدوني" بقوله:"ضريحه محترم"[7]. فصفة الاحترام خاصة بالكائن البشري الواعي والعاقل وليس بالأمكنة أو بالأحرى الأضرحة والقبور.

---

[1] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني، ص: 97.

[2] – المصدر نفسه، ص: 98.

[3] – المصدر نفسه، ص: 99.

[4] – المصدر نفسه، ص: 104.

[5] – المصدر نفسه، ص: 106.

[6] – المصدر نفسه، ص: 115.

[7] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وجميع الأماكن المذكورة سابقا تصب في وعاء واحد وهو العالم، الذي كان المساحة الخصبة والغير محدودة لـ"محمد مفلاح" الذي مارس فيه الحرية الكاملة في التعبير، فألبسه حللا متنوعة ونعته بصفات عديدة منها:"العالم الشرس"[1]، "عالم غامض"[2].

كما انزاح به نحو السكوت في:"يسكت العالم"[3]. ليمنح العالم الشاسع المليء بالأصوات صفة إنسانية واحدة وهي السكوت.

وقال السارد في قرية "الراجية":"بلدة الراجية المباركة التي رأت النور في حياة الشيخ امحمد الكاليدوني"[4]. فالإنسان عادة هو من يرى ويسمع ويحس، لكن راوينا أعطى خاصية من خاصيات الإنسان وحاسة من حواسه إلى المكان.

وفي الاخير نستطيع القول: أن تقنية أنسنة المكان جاءت عفو الخاطر لكنها تنم عن القدرة التعبيرية الفائقة للراوي، وعن ملكته اللغوية المتميزة في القدرة على مزج العالم الحي المتحرك بالعالم الساكن الجامد.

2- تغريب المكان:

أو العجائبية، فهما وجهان لعملة واحدة، كثيرا ما يتداخلان بالرغم من وجود فروق متفاوتة ، منها أن الأمر العجائبي مخالف ومنافي للواقع، في حين يمكننا الإمساك بالغريب لنجد له تفسيرا داخل حياتنا.

والغريب هو أن يكون اللفظ غير مألوف الاستعمال أو غير ظاهر المعنى وهذا ما يؤكده الباحث "لطيف زيتوني" الذي رأى أن الغريب:"يتميز بأحداثه التي تظهر في البداية

[1] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني، ص: 82.

[2] – المصدر نفسه: ص 17.

[3] – المصدر نفسه، ص: 88.

[4] – المصدر نفسه، ص: 104.

خارقة أو غير قابلة للتفسير، ثم تتحول في النهاية إلى أحداث عادية ومفهومة مثل: أحلام عارض نفسي، هلوسة"[1].

إذن فالغريب هو غير المألوف، الكامن في الخيال الذي يثيره الكاتب أو المبدع.

وقد انتقينا نماذج مختارة وبارزة تستثمر الغرابة في تقديم المكان، فقد جاء في حديث السارد على لسان البطل:"كم تمنى لو تجرفه، وفي غفلة منه، أمواج الدوامة الهوجاء"[2].

وفي بداية المقطع الثالث نجد صاحب الرواية أيضا يصف الدوامة التي خرجت منها البلاد في فترة العشرية السوداء بأنها:"خرجت من دوامة العنف الدموي"[3].

انزاح الكاتب بدلالة الدوامة التي تتسبب في أخطار عديدة ودمار شامل وتجرف في طريقها الأخضر واليابس إلى معاني أخرى، فهو يرى في المثال الأول هذه الدوامة المخلص والمنقذ له من حياته التي يعمها اللاجدوى والفراغ.

كما يصورها في المثال الثاني أنها دوامة لا تشبه أي دوامة عادية، فهي دموية تنم عن حالة من الضياع، الخوف، العنف الشديد.

وتكرست الغرابة أيضا في قول البطل في رجل الأعمال"الحاج سليمان الغشي" الذي يريد:"احتلال القطعة الأرضية التي تنبت فيها العمارة"[4].

فنلتمس في هذا المقطع انزياحا دلاليا تمثل في تشبيه القطعة الأرضية الصغيرة ببلد شاسع ووجه الشبه بينهما هو الانتفاع بالثروات والخيرات، كما أن الاحتلال يكون بالجيش المتكون من عديد الجنود، ولا يكون لقطعة أرض صغيرة، إضافة إلى أن العمارة لا تنبت مثل الزرع بل تبنى وتشيد.

---

[1] – جعفر الشيخ عبوش: السرد ونبوءة المكان، ص: 79.

[2] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني، ص: 17.

[3] – المصدر نفسه، ص: 18.

[4] – المصدر نفسه، ص: 15.

وقد أبدع "محمد مفلاح" في المقطع الذي ذكر فيه رؤية البطل للعالم من حوله في قوله:"لم يجرؤ يوما على الصراخ في وجه هذا العالم المفزع".[1]

فبطلنا يرى العالم بنظرة تشاؤمية تطبعها الغرابة، فيتخيل عالمه وحشا مرعبا يهز كيانه، فلا يقوى على الصراخ في وجهه.

وبما أن الأحلام هي مكمن الغرابة والعجائبية، فنجدها تجسدت في حلم "امحمد شعبان" حين:"رأى نفسه طائرا في سماء داكنة، لاحقته طائرات حربية، وبسرعة البرق لجأ على غابة الجبل الأخضر واختبأ في مغارة... وفي لمح البصر احترقت الطائرات وتناثرت أجزاؤها في سهل مينه الخصيب، وبعد ذلك خرج من المغارة وحلق في سماء زرقاء مواصلا سفره إلى غاية قمة جبل الونشريس"[2].

وتجسدت الغرابة في دلالات المكان في تلون السماء بين الأسود مرة والأزرق مرة أخرى.

ومما جاء في المتن الروائي:"أنقذته حليمة طايب من عالم كاد يغرق في وحله. شعر بأنها ربطته بعشيرة المنفيين وتاريخهم المأسوي، ورائحة جزيرة الحلم"[3]. أي أن "حليمة طايب" هي منقذة "امحمد شعبان" من العالم الموحل، لتشكيل جسر زمني وتاريخي للربط بينه وبين أجداده لدرجة تمكنه من استنشاق روائحهم في جزيرة الأحلام.

كما ينزاح بنا صاحب الرواية في كلمة "السوق" إلى اللون الأسود الذي يلفه الغموض في:"ثم تحول إلى بيع سلعته في ساحة السوق السوداء"[4].

وهو للوهلة الأولى يتبين أنه مصطلح غريب لكن سرعان ما نفهمه ونعتاد عليه من سياق الكلام؛ ومعناه السوق التي تباع فيها أغراض غير خاضعة للترخيص أو المراقبة.

---

[1] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني ، ص: 22.

[2] – المصدر نفسه، ص: 23.

[3] – المصدر نفسه، ص: 67.

[4] – المصدر نفسه، ص: 28.

صور أيضا "محمد مفلاح" الغرابة في نظرة "الحاج عبد القوي" للعمارة في قوله:"هذي عمارة من كرتون"[1].

هذا المقطع يضعنا في حيرة وتعجب من عمارة كرتونية يسكنها البشر، وهو المعنى السطحي، لكن إذا غصنا في المعنى العميق نجدها بمعنى العمارة الهشة التي ستنهار قريبا.

كما عبر الراوي "محمد مفلاح" في أحد المقاطع عن درجة الحرارة بأنها :"جحيم في فصل الربيع"[2]، ووظف نفس الكلمة في إطار حديثه عن شخصية حارس حظيرة السيارات "غنام ولد اللبة":"الشاب الهارب من جحيم ليبيا الممزقة"[3].

وحمل الراوي ليبيا من كونها بلدا عاديا ككل البلدان إلى كونها مكانا للحرب والنيران وجحيما يمزق أشلاء سكانها.

كما ذكر السارد مناطق أو أماكن عجيبة وغريبة، توحي بأنك في عالم من الخيال مثل "غار لغوال"[4]، ويستمد هذا المكان دلالته الغريبة، من اتصاله بإحدى المخلوقات العجيبة وهو الغول الموجود في قصصنا الخيالية الشعبية، الذي يعد مصدرا للشر والخوف والفزع.

ومحاكيا لنفسية البطل "امحمد شعبان" الذي يئس من لامبالاة الحكومة والناس بتاريخ الأجداد، قال "محمد مفلاح":"تلبسته حالة غامضة مزقت قلبه"[5]، فالقلب هو مكان ومستقر تجمع العواطف والأحاسيس، والحالة الغامضة هنا هي عبارة عن سكين يقوم بتقطيع أجزاء قلبه، وهذا أمر صعب التصديق في الواقع لطغيان مسحة الغرابة عليه.

---

[1] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني ، ص: 34.

[2] – المصدر نفسه، ص: 44.

[3] – المصدر نفسه، ص: 50.

[4] – المصدر نفسه، ص: 60.

[5] – المصدر نفسه، ص: 100.

كما ولج بنا"محمد مفلاح" أيضا في عالم العجائبية والسحر في مواضع متفرقة من الرواية، قوله:"عالم عجيب"[1]، "الجزيرة الساحرة"[2]، "المكان الساحر"[3]، "الجزيرة السحرية"[4] "في سحر الطبيعة"[5].

وبذلك يكون صاحب الرواية، قد أكسب أشياء وأماكن طبيعية صفة الغرابة والعجائبية واستمد ذلك من عوامل السحر والخيال والقصص العجيبة، وهذه العملية الإيهامية تخرجنا من منطقة الألفة، إلى ولوج متاهة فهم الأماكن الغريبة والعجيبة.

3- شعرنة المكان:

يقصد بشعرنة المكان انفتاح الرواية على لغة الشعر المكثفة، وتوظيف طاقاتها الجمالية، وتفعيل إمكاناتها الشعرية وذلك بـ:"رفع مستوى السرد المكاني إلى مستويات الكثافة والإشعاع والغنائية، والنبرة الحارة، والتوتر الحاد، وإشاعة مناخات جديدة تعجز لغة النثر عن بثها"[6].

وإذا ما عدنا للرواية المختارة للكشف عن تجليات شعرنة المكان فيها نجد فاتحتها هذه العبارة التي عمقت الاحساس الجمالي بالمكان:"قلبه يخفق بالحب والفن"[7].

فقد اتكأ هذا المقطع على لغة معبرة وشاعرية، تصف مكان القلب، أنه نابض بالمحبة والفنون، وهو ما خلف بعدا رمزيا موحيا، جعل هذا القلب ليس ككل القلوب.

---

[1] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني ، ص: 111.

[2] – المصدر نفسه، ص: 120.

[3] – المصدر نفسه، ص: 89.

[4] – المصدر نفسه، ص: 90.

[5] – المصدر نفسه، ص: 104.

[6] – جوادي هنية: صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، أطروحة دكتوراه، إشراف الأستاذ الدكتور: صالح مفقودة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012م-2013م، ص: 290.

[7] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني، ص: 06.

وفي مقطع آخر حاكى صاحب الرواية، نفسية "امحمد شعبان" الجريحة بحكايات جدته عن تاريخ الأجداد في قوله:"وجدته عمقت الجرح بحكاياتها عن هموم الماضي المعطوب"[1]. فالجرح هو مكان الآلام والآهات، والجدة قامت بالحفر فيه وتعميقه، فزادت من حدته ونزيفه وهي صورة شاعرية جميلة جدا عمقت الاحساس لحد شعور القارئ به.

كما استطاع "محمد مفلاح" أن يصف أجواء الرعب التي سادت المدينة وقت العشرية السوداء:"في المدينة الجريحة بأخبار مفزعة، رؤوس مقطوعة، معلقة على أعمدة، وجثث في وادي مينه، وتفجيرات مرعبة، وملاحقة الإرهابيين في الغابات والجبال ووو... ما أتعس حياة يسودها العنف الهمجي"[2].

تبوح السطور السابقة بتعابير شعرية فائقة عن حالة الخوف واللااستقرار الذي عانته المدينة، كما شكلت رمز الموت والدمار في أماكن مختلفة، لكن السارد سكت عن تسمية أماكن أخرى واستعاض عنها بنقاط حذف، ليترك تخيلها من نصيب القارئ، ليسرد بقية المشهد المفزع والتعيس.

وقد حملت بعض المقاطع الأخرى العديد من الأوهام المجازية، منها تعبير الراوي عن عالم "الحاج عبد القوي" والد البطل ورفاقه في الزاوية فقال:"يسبح معهم في عوالم الحضرة الصوفية"[3]، وتوحي كلمة عوالم بفضاء مكاني صوفي يضم تجمعات دينية، بأفكار ومبادئ خاصة بهذه الطائفة؛ وهذا الكلام دليل على تمسك الآباء والأجداد بالدين، كما يدل على تبجيل المذهب الصوفي بلغة إيحائية راقية تعادل رقيه.

كما كان صاحب روايتنا ينتقي مقاطع عديدة من قصائد شعرية وشعبية ليدعم بها نصه منها: قصيدة "الشيخ بلوهراني" يقول فيها:"من تونس لتلمسان يهدروا بلسان"[4].

---

[1] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني ، ص: 15.

[2] – المصدر نفسه، ص: 20.

[3] – المصدر نفسه، ص: 27.

[4] – المصدر نفسه، ص: 29.

إن تضمين الراوي نصه هذا المقطع الشعري، الذي يذكر أمكنة متعددة تمتد من تونس شرقا إلى تلمسان غربا، قد جاءت في قالب تعبيري شعري يوحي بالاتصال والوحدة التي كان العرب يعيشونها سابقا، وهي عكس التشتت الذي يعانيه هذا الجيل المفلس الذي قال فيه "الشيخ عبد القوي":"أما أنتم أخشى أن تغرقوا في مستنقع هذا الزمن المجنون"[1].

فشبه "الشيخ عبد القوي" هذا الجيل وكأنه ضحية لزمن فاقد القيمة، أفقده بدوره الوحدة والتماسك وأرداه غريقا في مستنقعه الموحل.

كما جعل "محمد مفلاح" البطل يسرح في قصيدة "الأخضر بن خلوف" الذي أنشد فيها "الشيخ بوعجاج":"الموت تابعني والأرض الباردة"[2].

وهي صورة تجسد قساوة الموت الذي يبعدنا عن أحضان الأهل الدافئة ليضعها بين فكي أرض باردة المشاعر وخالية من الإحساس.

وفي المقطع السادس أيضا استعمل الكاتب كناية عن البلاد التي نهبت خيراتها وثرواتها، حتى نفدت، في قوله:"جف ضرع البقرة"[3]، وهو ما تنبأ به المغني"كادير النَسْنَاس" الذي حضر حفلته"امحمد شعبان"، غنى فيها:"في قلبي جمرة * أنت كالبقرة * بلا حليب"[4].

وقصد بذلك البلاد التي سرقت كنوزها وخيراتها مما خلف الآهات في قلوب سكانها لكنه(محمد مفلاح)عبر عن ذلك بفكرة تشع بلغة غنائية زاخرة بالألحان والمعاني.

وفي تعبير شاعري آخر احتوته الرسالة الأولى "للشيخ امحمد الكاليدوني" جد والد "امحمد شعبان" بطل الرواية قال فيها:"روحي مشتاقة لرؤيتكم وتتمنى معانقتكم... واشتقت إلى رائحة البلد... قلبي يخفق بحبكم"[5].

---

[1] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني ، ص: 30.

[2] – المصدر نفسه، ص: 77.

[3] – المصدر نفسه، ص: 43.

[4] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] – المصدر نفسه، ص: 39.

في هذا المقطع من الرواية، ألقت الأشواق بظلالها على لغة السرد، فلونتها بشعرية طافحة عن طريق الاستغراق في لغة الحب والحنين.

وفي حكاية أخرى حملتها الرسالة الثانية، وصف"الشيخ امحمد الكاليدوني" هروبه في:"غابة موحشة"[1]، ومخالطته للكاليدونيين في مساكنهم بـ"غابة كثيفة"[2].

فكلتا الغابتان شكلتا بنمط تعبيري حار يجعل القارئ يرسم تفاصيلهما في خياله ويتحسس من قوله"موحشة" و"كثيفة" مرارة البعاد، وشدة وطء فراق الأهل والأحبة.

كما صور الراوي حالة البطل بعد قراءة الرسائل الثلاث لجد والده"امحمد المنفي" بقوله:"لم يعي عمقه النازف"[3]. ليضع بين أيدينا صورة شاعرية لمكان مفترض هو عمقه الجريح، الذي ينزف ألما وحزنا على جده"امحمد المنفي".

وفي صورة قلق "امحمد شعبان" حاكى راوينا ذلك بمنتهى الشاعرية، وبالقدر الكافي من التمكن في قوله:"لم يعد مرتبطا بحاضره الكالح الذي تحاصره وساوس العالم"[4].

فعدم رضى البطل عن واقعه جعله يعتقد بأن العالم مكان يحتوي هواجسا وأطيافا تبعثره وتجعله إنسانا ضائعا مظلا للطريق.

وانتقل بعد ذلك السارد إلى وصف الدول والقبائل بشاعرية جميلة في قوله:"الدولة الرشيدة"[5]،"القبائل العتيدة"[6].

ففي القول الأول يستشرف الراوي غدا مشرقا تساس فيه الدولة بحكم رشيد يسود فيه العدل والخير؛ أما القول الثاني ففيه ارتداد إلى ماضي القبائل، وتلك البقاع التي ضمت

---

[1] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني ، ص: 40.

[2] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – المصدر نفسه، ص: 47.

[4] – المصدر نفسه، ص: 55.

[5] – المصدر نفسه، ص: 63.

[6] – المصدر نفسه، ص: 64.

أناسا تربطهم روابط الدم وأواصر القربى، ومما لا شك فيه أن الماضي المتحدث عنه هو ماض مشرق ومنير، جعله يعبر عنه بالعتادة، والرشد.

وجسد الكاتب عبثية العالم ولا جدواه بالنسبة لـ"امحمد شعبان" فيراه مجرد :"عالم صاخب"[1]، والتقطنا معاني غابت وراء شعرية هذه الكلمة أو الجملة منها: الضجيج الفوضى، الحركة وغيرها.

وفي مقطع آخر يبين الراوي التعاطي الانفعالي مع الموقف فيقول:"ثم تحول امحمد شعبان إلى قناة تبث الأشرطة الوثائقية عن الطبيعة... بعيدا عن جحيم الربيع العربي"[2] وهذا التعاطي في المقطع السابق الذكر يبين الانفعال الحاد للبطل؛ الذي يرى الثورات العربية المسماة الربيع العربي جحيما امتدت ألسنة نيرانه لتحرق الفكر العربي، وهي رؤية خاصة مبينة على خلفية معرفية للبطل.

وغصنا في تعبير الكاتب عن رؤية وشعور"امحمد شعبان" عند زيارته "للدوار" قوله:"بدى له الدوار مثل حبة قمح في كف أخصر خلاب. ما أجمله منظر! انتعشت روحه مذ لامست قدماه التربة الطرية المعشوشبة"[3].

يؤسس هذا المقطع لأجواء شاعرية من الراحة النفسية يلفها الجمال والهدوء في حضن الطبيعة الأم.

وفي حديث "الحاج بلقاسم الصم" الذي زاره"امحمد شعبان" في دواره، يحكي ارتباطه وتمسكه هو وأبناء ريفه بالأرض، رغم القمع الممارس عليهم من طرف المستعمر يقول:"أما نحن الذين ارتبطنا بالتراب فقد عشنا كل أنواع العذاب"[4]، أي أن فرنسا قامت بقمع الجزائريين الذين تمسكوا بأرض الوطن، ومارست عليهم شتى أنواع العذاب.

---

[1] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني ، ص: 71.

[2] – المصدر نفسه، ص: 37.

[3] – المصدر نفسه، ص: 89.

[4] – المصدر نفسه، ص: 92.

أما في المقطع الثاني والعشرين وصف "محمد مفلاح" المزارع بأنها "بساتين غناء"[1]. فهذ البساتين أو المزارع تغني من شدة جمالها واخضرارها وبهاء منظرها فتتآلف زقزقة العصافير مع خرير المياه، وترسم منظرا وكأن الطبيعة والبساتين تغني فرحا وبهجة.

في تعبير شاعري يحمل معاني الأسى واللوعة، وبعد مفارقة "الحاج عبد القوي" الحياة، يقول الراوي:"خرق العويل الحاد سماء الحي الجديد"[2].

وهذا التصوير لشدة الصراخ يبين عمق الحزن والأسى الذي أصاب عائلة "الحاج عبد القوي"، لدرجة خرقه السماء.

وفي ختام الرواية يبين لنا الراوي مخططات "امحمد شعبان" للهرب فيقول:"يهرب إلى جزيرة لا زالت تحمل وشوم أجداده المنفيين"[3]. أي أنها جزيرة في نظر البطل تحمل ذكريات وآثار، وبصمات الأجداد المنفيين إليها؛ لتحاكي ما عانوه وتبقى شاهدة عليه.

وفي الأخير نستطيع القول أن: محمد مفلاح كرس لنا في شعرنة المكان، جمال العبارة وجرسها الإيحائي الذي نقلنا إلى عوالم أخاذة، بلغة ملهمة، غاصت بنا في تفاصيل أهملناها وغفلنا عنها لا يراها سوى أصحاب القلوب الشاعرية مثل راوينا "محمد مفلاح".

ومما سبق يمكننا أن نقف على التمظهرات الشعرية للانزياحات في دلالات المكان من خلال العناصر التالية:

3-1- شعرية الانزياح المكاني في العنوان:

الرواية كجنس أدبي مستقل تخضع لعدد من العناصر والمكونات السردية المتحكمة في بنائها، ومن بين هذه العناصر: العتبات النصية التي تلعب دورا مهما في فهم العمل الأدبي وتأويله.

---

[1] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني ، ص: 109.

[2] – المصدر نفسه، ص: 116.

[3] – المصدر نفسه، ص: 120.

ويعتبر العنوان أهمها، فهو بمثابة بطاقة هوية للنص وأول ما يقرؤه المتلقي من الكتاب لكونه يتصدر الغلاف:"إنه أول لقاء بين القارئ والنص، وآخر أعمال الكاتب، وأول أعمال القارئ"[1].

فالعنوان عنصر فاعل في العملية الابداعية، وقد حظي باهتمام بالغ من قبل الدارسين، فيعرفه"رولان بارت" بأنه:"عبارة عن أنظمة سميولوجية تحمل في طياتها قيما أخلاقية واجتماعية وإيديولوجية"[2].

ونظرا لما يحمله العنوان من دلالات رمزية وإيحائية تعمل على تحفيز الباحث أو المتلقي لتفسيرها وحلها، فهو يثير في ذهن المتلقي العديد من التساؤلات التي تقوده إلى قراءة المتن الذي يكون بهوا واسعا للإجابة عنه.

فاختيار الكاتب لعنوان"شبح الكاليدوني" من أجل أن يتصدر الرواية، ينم عن رمزية وإيحائية، تثير الدهشة والغرابة في ذهن المتلقي.

وأول ما لفت انتباهنا هو تركيب العنوان الذي يتكون من الكلمة الأولى "شبح"؛ والتي تعني الكائنات المخيفة الخيالية والخرافية الوهمية التي كانت من نسيج خيال الإنسان عبر التاريخ فهي تجسد شيئا غير موجود أساسا، وقد جاءت هذه الكلمة نكرة معرفة بالإضافة إلى كلمة "الكاليدوني"، المنسوبة إلى جزيرة "كاليدونيا" الواقعة بالمحيط الهادي قرب أستراليا.

ونستخلص أن: الشبح أو هذا الطيف يمر متعلقا بمكان محدد هو "كاليدونيا الجديدة".

وبالرغم من تحليل الكلمتين كل على حدى، وربطهما ببعضهما البعض، إلا أن الغموض لا زال قائما، فالرواية موضوعيا تقارب الخرافة من خلال كلمة"شبح" لكن مفردة "كاليدوني" أحالتنا إلى مكان واقعي. هذا التناقض الحاصل هو ما دفع بنا للولوج إلى المتن

[1] – عبد الله الغدامي: الخطيئة والتكفير، ص: 23.

[2] – عبد الحق بلعابد: عتبات (جيرار جينات من النص إلى المناص)، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008م، ص: 23.

الروائي، وتقصي الأحداث من أجل فك خيوط وألغاز هذه العتبة؛ هذا وقد التمسنا تطابقا للعنوان مع مقاطع من الرواية أهمها قول الراوي:"... شعر بثقل لقبه وغرابته، ... تساءل بعضهم عن سر لقب المنفي، فكان رده سريعا: لا أعلم... وطال انتظاره للتعرف على أسرار كثيرة في هذه الحياة الكالحة، منها مأساة والد جده وسر الجزيرة النائية. منذ تلك الأيام سكنه شبح المنفي"[1].

فهذا المنفي هو مجرد شبح أو هاجس حاصر ذهن حفيد "امحمد الكاليدوني" المنفي إلى كاليدونيا –امحمد شعبان– هذا الأخير الذي يعاني من الرتابة والاغتراب، ويرى في منفى جده، حضنا دافئا يحميه من مخالب الحياة في بلد منشغل بالتفاهات ومتنكر لماضيه وتاريخه.

3-2- شعرية السرد والوصف للمكان المنزاح:

هو وصف المكان بكل أبعاده وحيثياته وحدوده بطريقة شاعرية، يعتمد فيها الكاتب على الخيال والمجازات من تشبيه واستعارات،"فتنقل القارئ من محيطه الذي يعيش فيه إلى محيط الرواية"[2].فالكاتب لا يقدم أمكنة مجردة عن الإنسان أو الحركات والتغيرات، بل نرى هذه الأشياء كلها تشترك في صنع الأحداث والتغيرات "وتعكس أنماطا حياتية وسلوكية"[3].

"فنجد المبدع يحول المكان إلى أداة للتعبير عن موقف ما، ووسيلة لتقديم أفكار فلسفية"[4]، تساهم في تشكيل أي تصور، وهذا ما وجدناه جليا في روايتنا.

فقد اعتمد"محمد مفلاح" على السرد المقترن بالوصف بطريقة شاعرية، انزاح بها عن ما هو معروف إلى ما هو خيالي مبتكر، وذلك من خلال قدرته على الاستغلال الأمثل للطاقات والأساليب اللغوية، التي استطعنا عن طريقها الكشف عن الحالة الاجتماعية

---

[1] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني، ص: 06.

[2] – محمد علي شوابكة: ثنائيات في السرد، دراسات في المبنى الحكائي، مادبا مدينة الثقافة الأردنية، ط1، 2012م ص: 53.

[3] – المرجع نفسه، ص: 56.

[4] – الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي، دراسة في روايات نجيب الكيلاني، ص: 190.

والنفسية للبطل فقول السارد:"تحرك نحو غرفة نومه، التي تحتوي سريرا خشبيا على يمينه طاولة بلاستيكية تكدست عليها أقراص مضغوطة لأغاني شيوخ الشعبي والبدوي، وجرائد ومجلات كان يجلبها كل مساء من مكتبة الديوان، وعلى يساره مكتب الحاسوب. وفي الجهة المقابلة للسرير، كانت خزانة ذات ثلاثة رفوف تزينها مجلدات ضخمة وكتبه الجامعية وعليها جهاز تلفاز صغير الحجم. وكان كرسيه البلاستيكي الأبيض بجانب النافذة"[1].

قدم لنا الراوي وصفا دقيقا لما تحتويه غرفة "امحمد شعبان" وهذا ما يحيلنا إلى شخصيته، فيظهر لنا بصورة المثقف من خلال المجلدات التي تحتويها غرفته، وعن وعيه الذي ينم عنه استماعه لأغاني الشعبي الغنية بالمعاني والحكم.

كما أن راوينا يعطينا صورة الغرفة في نظر صاحبها "امحمد شعبان" فيعتبرها ملاذه الذي يحميه من صخب الحياة فيقول:"ثم جلس على كرسيه المريح المقابل لنافذته المطلة على الشارع الصاخب"[2].

فهي المكان الذي يرتاح فيه، بعيدا عن الناس الذين لم يفهموه، فيعتبرها ملجأه الوحيد للتعبير عن أفكاره رغم وصفه لها بالكئيبة:"في لحظات الملل الرهيب يحن إلى غرفته الكئيبة ملجؤه الوحيد"[3].

كما أن السارد شكل مفارقة في الوصف، فبالرغم من ضيق الغرفة إلا أنها تمثل بالنسبة له فضاءا واسعا يطلق فيه العنان لخياله بعيدا عن كل المخاوف التي تجتاحه:"هنا في الغرفة الضيقة، يخفي غربته القاتلة عن أهله ومعارفه محتضنا مخاوفه ووساوسه"[4].

[1] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني، ص: 35.

[2] – المصدر نفسه، ص: 06.

[3] – المصدر نفسه، ص: 17.

[4] – المصدر نفسه، ص: 14.

إن الانزياح الحاصل من المفارقة الصارخة في وصف الغرفة بين جعلها كئيبة منفرة وبين اعتبارها الملجأ الوحيد لبطلنا يوحي برجاحة هذه المعادلة من جهة تفضيله لها واستعذابه لجوها، رغم وصفه لتواضعها.

فمن خلال ما سبق نجد أن الكاتب "محمد مفلاح" قد اعتمد على الصور المجازية والتشبيهات، والاستعارات، واستطاع من خلالها تقريب صورة المكان لذهن المتلقي وإبراز المعاني، كما أنه أوهم المتلقي أيضا بواقعية الأماكن، هذه الأخيرة أحالتنا وإياه إلى حالة البطل الاجتماعية، والنفسية المضطربة، وتطلعاته الفكرية.

3-3- شعرية الانزياح المكاني في التناص:

هو من أهم التقنيات التي يعتمد عليها المبدع في عمله الأدبي، وقد استقر هذا المصطلح مع الفرنسية "جوليا كريستيفا" فتعرفه بأنه:"تقاطع نظام نصي مع المقاطع السابقة"[1].

فهو بذلك العلاقة الحاصلة بين أحد النصوص ونصوص أخرى يقوم بامتصاصها فتنخرط في بنيته وتصبح جزءا منه.

لتدحض بذلك ما جاءت به الدراسات البنيوية، مؤكدة أن النص مفتوح ومستحضر لنصوص سابقة، فقالت:"النص فسيفساء من الاستشهادات"[2].

وتعتبر الرواية الوعاء الجامع لمختلف الظواهر الثقافية والاجتماعية، وهو ما يفسر تداخل النصوص وتآلفها، وهو بدوره ما سمح لنا رصد العديد من التناصات في روايتنا وجلها كانت تناصات دينية، منها قول الراوي:"فاستقبله الشيخ امحمد المنفي وضمه إلى صدره وغطاه ببرنصه الأبيض ثم أدخله خلوة وهو يهمس إليه: لا تخش الفئران"[3].

[1] – فيصل الأحمر: معجم السميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر العاصمة، ط1، 2010م، ص: 146.

[2] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – محمد مفلاح، رواية شبح الكاليدوني، ص: 23.

فهو هنا يتحدث عن"امحمد المنفي"،وكيف هدأ من روع "امحمد شعبان"، وأنه سيحميه وهذا المعنى يتقاطع مع قصة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه، في غار ثور عندما طاردهما الكفار وذلك في قوله تعالى:" إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيم"[1].

إن اللقاء بين النصين، كان على مستوى استحضار دلالات المكان، وهو غار ثور الذي لجأ إليه النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه والخلوة التي آوى اليها شخصيتا القصة، هو ما يجعلنا ننحرف بأذهاننا لنستحضر القصة التاريخية لفهم القصة التي يرويها السارد.

كما تأتى لنا كذلك استخراج تناص آخر من التناصات الدينية، عندما تحدث الكاتب عن المحرقة الشنيعة التي قام بها الكلونيل "بليسيه" في قوله:"بليس العدو اللذود الذي أحرق سي خطاب ورجال قبيلة أولاد رياح. لالة زبيدة لحقت بزوجها سي خطاب في الغار فاختنقت معه. يا للهول!... أحرق الزوجين مع ألف رجل"[2].

ويحكي هذا المقطع كيف قام سكان الظهرة بالاحتماء في المغارة، التي عدوها ملاذهم الآمن، وكذلك "أصحاب الكهف الذين لجؤوا إلى الفجوة أو الكهف، واحتموا فيه عندما أحسوا بلؤم وغدر الكفار، ورغبتهم في قتلهم وتجسد ذلك في قوله تعالى:" إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا"[3]، وانتهت إلى كلا القصتين بموت سكان الظهرة اختناقا، وموت أهل الكهف بعد استيقاظهم من نوم عميق.

[1] – سورة التوبة ، الآية: 40.

[2] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني، ص: 59.

[3] – سورة الكهف ، الآية: 10.

وفي الصفحة التي تليها نجد اقتباسا من القرآن الكريم، في قول الراوي على لسان "امحمد شعبان"، عندما فتح باب نافذته ونظر إلى المقبرة:"كل من عليها فان"[1]. وهو قول مقتبس من سورة الرحمان، ومعناه أن ما على الأرض من إنسان وحيوان أو نبات مآله الموت والفناء، ولا يبقى سوى وجه الله ذو الجلال والإكرام، وهذا الاقتباس إن دل فهو يدل على وعي وثقافة الراوي الدينية.

كما يظهر لنا جليا في رواية "شبح الكاليدوني" اشتغال التناص مع الأسطورة، وهو مظهر من مظاهر الشعرية المتميزة، فأتى هذا الاشتغال غالبا في إشارة خاطفة تركت لنا فسحة التأمل، ومن ذلك تقاطع قصة "امحمد شعبان" في قول الراوي:"وها هو يقرر التحدي. حان وقت السفر الطويل إلى الجزيرة التي سكنها أبناء العهد الجريح"[2] مع اسطورة "أوديب" هذا الأخير الذي قرر خوض رحلته المصيرية نحو معرفة أصوله أيضا.

فالمكان الأول وهو جزيرة "كاليدونيا الجديدة" انزاح نحو مكان غيري، أي أن البطل "امحمد شعبان" يبحث فيه عن آثار جده "امحمد المنفي" وعن سر لقبه المنفي، أما المكان الثاني لـ"أوديب"، فانزاح نحو مكان أصلي لأن أوديب يبحث فيه عن الأصول المتعلقة بذاته.

وكلا الشخصيتين (امحمد شعبان وأوديب) سارا في رحلتهما الشاقة، وتحررا من مختلف القيود التي تكبلهما، منطلقين نحو هدف واحد هو اكتشاف الأصل المغيب.

4- أنثنة المكان:

بما أن الأنثى أو المرأة هي نصف المجتمع ومكمن المشاعر والعواطف، فهي رمز الأعمال الفنية وقامة العمود الشعري والنثري على حد سواء؛ ونظرا لأهميتها البالغة فقد صبغت ومزجت بمختلف العناصر الحكائية منها: المكان. فألبس حلتها ليصبح هناك ما يسمى بـ"أنثنة المكان".

[1] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني، ص: 88.

[2] – المصدر نفسه، ص: 121.

ويقصد بأنثنة المكان تمثله وجعله يحمل صفات أنثوية، بل وجعله الأنثى بحد ذاتها وهو أمر شاع لدى معظم الكتاب والشعراء، مما أكسب العمل الفني المزيد من الجمالية والشعرية.

ومن أمثلة الأنثنة المكانية في الرواية ما تكرر أكثر من مرة في قول السارد:"البناية اليتيمة"[1]. فرمز للعمارة أو البناية برمز فتاة تمكن منها اليتم جراء فقدان أبويها.

وفي مقطع آخر ذكر الراوي العمارة بأنها:"ازدادت حزنا وهشاشة، وكأنها شعرت بيتمها الرهيب... الخامسة كما يسميها والده تثير شفقة كل من يراها، وهي تقاوم بؤسها ويأسها... فهي لا زالت ثابتة في صمت جنائزي رهيب... بنيت وأخواتها الأربع ضمن مشروع قسنطينة... عمارة منهكة"[2]، وذكرها أيضا في المقطع السابع:"العمارة الوحيدة"[3].

فانزاح "محمد مفلاح" بالعمارة من كونها إطارا جامدا إلى امرأة لها إحساس، حزينة ويتيمة، يائسة ومنهكة، لكن دون أن تتفوه بكلمة واحدة، فهي تقاوم رغم الآهات، فتثير الشفقة وتستعطف القلوب.

وفي ثنايا حديث الراوي وصف مزرعة صديقة البطل "حليمة طايب" في كاليدونيا الجديدة بـ"مزرعتها الجميلة"[4]. والجمال خاصية المرأة المتميزة أكسبه الراوي للمزرعة ليبين مدى رونقها وبهائها.

ولامسنا خلال استقصائنا للأنثنة المكانية، قرب صفات الطبيعة من صفات المرأة وهذه السمات المشتركة سنكتشفها من خلال المقطع التالي:"ثم تحول امحمد شعبان إلى قناة تبث الأشرطة الوثائقية عن الطبيعة العذراء"[5].

---

[1] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني ، ص: 09.

[2] – المصدر نفسه، ص: 09-11-12.

[3] – المصدر نفسه، ص: 50.

[4] – المصدر نفسه، ص: 21.

[5] – المصدر نفسه، ص: 34.

فانزاح "محمد مفلاح" بالطبيعة وأكسبها صفة أخرى من صفات المرأة وهي العذرية، أي الفتاة البكر، فهي تماما كالطبيعة التي لم تتدخل يد الإنسان في تغيير وطمس معالمها الفطرية.

كما ذكر صفة العذرية في المقطع الثالث والعشرين، ونسبها إلى الغابة في قوله:"الغابة العذراء"[1].

وقد واكب رمز المرأة معلما آخر من معالم الطبيعة في روايتها وهو الجزيرة، حين وصفها السارد بقوله:"الجزيرة الساحرة، وشواطئها الهادئة، ومزارعها الجميلة"[2].

كما جعل السارد أيضا فتنة الطبيعة تعادل فتنة المرأة وجمالها في قوله:"الطبيعة الفاتنة"[3].

كما كان للبيت والمسكن الحظ الوافر في الأنثنة وذلك في قول "محمد مفلاح":"مساكن متواضعة"[4]. فأضفى صفة التواضع التي نجدها في شخص المرأة إلى المساكن الجامدة الخالية من أي شعور ليبين بساطتها.

وعاد الكاتب مجددا ليصبغ المدينة بصبغة الأنوثة بقوله:"المدينة المحترقة الصابرة"[5].

فهو يضفي على المدينة التي لاقت آهات العشرية السوداء، وكابدت النمو السكاني الضخم، وضجيج السكان والسيارات في الجو الصيفي الحار، صفة المرأة التي هي رمز العطاء والصبر، فهي تحترق في سبيل رؤية الآخرين سعداء رغم مرورها بظروف قاسية وصعبة.

وفي الأخير نستنتج أن: "محمد مفلاح" انزاح بأمكنته ليكسبها الملمح الأنثوي، وهو ما عكس دور المرأة الفعال والمؤثر في المجتمع على هذه الأمكنة التي جذبتنا وأثرت فينا بدورها.

---

[1] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني ، ص: 120.

[2] – المصدر نفسه، ص: 112.

[3] – المصدر نفسه، ص: 89.

[4] – المصدر نفسه، ص: 40.

[5] – المصدر نفسه، ص: 62.

5- الانزياح في دلالات المكان:

يتنوع المكان باعتبار دلالاته إلى أمكنة أليفة، معادية، مغلقة أو مفتوحة، وقد ينزاح المكان من دلالاته الأصلية إلى دلالات أخرى، كأن يكون المكان مفتوحا ويعطي طابع الانغلاق، وهذا ما لاحظناه في روايتنا "شبح الكاليدوني" لـ"محمد مفلاح" من خلال:

5-أ- الغرفة:

فغرفة "امحمد شعبان" رغم ضيقها وانغلاقها، فهي المكان الذي يسع غربته القاتلة فكانت الحضن الذي يحتوي وساوسه فوصفها الراوي بالكئيبة في قوله:"في لحظات الملل الرهيب يحن إلى غرفته الكئيبة"[1].

لكنها في نظر البطل مصدر الراحة والمكان الوحيد الذي يستطيع فيه أن يسرح بخياله ويعبر عن أفكاره:"في وقت الأرق يفتح دفتي نافذة غرفته... ويطلق العنان لخياله"[2].

فهي ملاذه الآمن والمريح الذي لازمه مند طفولته، لتصبح في كبره جزءا لا يتجزأ من ذاكرته ونفسيته، فتحتويه في لحظاته التي يشوبها الملل وفي أيامه الرتيبة.

5-ب- العمارة:

هي بناية تحتوي على عدة طوابق تضم مجموعة من العائلات منها عائلة "امحمد شعبان"، وهي مكان معادي لأنها مبعث قلق سكانها، باعتبارها مهترئة وعلى وشك الانهيار وقد وصف الراوي ذلك بقوله:"العمارات المغشوشة"[3].

فهده العمارة رغم هشاشتها، وخوف سكانها من سقوطها نتيجة الأمطار، إلا أنها تمثل بالنسبة لهم موطن اجتماعهم ومؤانستهم، كما أنها موضع تشابك الأحداث بينهم فقد

[1] - محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني، ص: 17.

[2] - المصدر نفسه، ص: 36.

[3] - المصدر نفسه، ص: 49.

تآلفوا فيها وعاشوا فيها الحلو والمر، وهو ما تجسد على لسان "الحاجة صفية" التي قالت:"سيفرقون بيننا وبين جيراننا الذين عشنا معهم أكثر من خمسين سنة"[1].

5-ج-المقبرة:

عند ذكر كلمة "المقبرة" فإنها تثير في النفس مشاعر العداء والوحشة، الخوف العزلة الفراق والهلع، ولكنها في روايتنا قد انزاحت من دلالتها المخيفة المعادية، وتحولت إلى مكان تألفه بل تتمناه الشخصيات، وقد ظهر ذلك جليا في تمني أم"امحمد شعبان" الدفن في المقبرة نفسها التي تحتضن أضرحة أهلها فيقول الراوي:"صارت ترجو الله في كل وقت أن تدفن في المقبرة نفسها، إنها تخشى أن تموت في الحي الجديد وتدفن في مقبرة برمادية بعيدة عن قبور أهلها"[2].

"فصفية البايلك" لا تخاف من فكرة الموت في حد ذاتها، بل ما تخافه هو مكان الدفن فهي لن ترتاح إلا إذا دفنت مع أهلها:"تصر على أن تدفن بمقبرة سيدي عبد القادر قرب قبور أهلها، ولو تطلب الأمر دفنها في قبر والدتها"[3].

كما نجد البطل في مقطع آخر يتحدث عن المقبرة وكأنها مكان الراحة والهدوء ومكان تألف له النفس وتحن إليه من خلال قول السارد:"وسرح بنظره في الظلمة التي غشيت المقبرة الهادئة"[4]، وقوله أيضا:"كما تمنى لو تجرفه، وفي غفلة منه، أمواج الدوامة الهوجاء نحو المقبرة حيث يرقد المسالمون"[5].

فشخصيات الرواية تجد في المقبرة المنال المرجو، والمكان الهادئ للاجتماع بالأهل ثانية، بدل أن تكون مستقرا للوحدة والوحشة، والخوف.

---

[1] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني ، ص: 34.

[2] – المصدر نفسه، ص: 10.

[3] – المصدر نفسه، ص: 15.

[4] – المصدر نفسه، ص: 46.

[5] – المصدر نفسه، ص: 17.

5-د-المدينة:

رغم شساعة المدينة وانفتاحها، وتوفرها على المرافق الضرورية التي تحقق الرفاهية إلا أنها غدت في أعين"امحمد شعبان" مكانا ضيقا، فنجده في كثير من المقاطع يذكره وكأنها مكان معاد مغلق فيقول:"أحس... أنه تحرر من حصار البنايات الإسمنتية، وسجن ديوان الثقافة"[1].فشبه المدينة وكأنها سجن حاصره وأشعره بالضجر والاختناق، رغم رحابتها واتساع أفقها.

كما عبر عن سخطه الشديد عليها في قوله:"المدينة تحولت إلى حظيرة ضخمة"[2].

فانزاح "محمد مفلاح" بالمدينة من مجرد مكان عادي إلى حظيرة كبيرة مليئة بالفوضى والضجيج.

5-هـ-الريف:

رغم أن"امحمد شعبان" وجد الراحة، والهدوء، والسكينة في الريف، هذا المكان بجماله الطبيعي الأخاذ والذي أعطاه دافعا قويا لتحقيق حلمه بالسفر إلى كاليدونيا الجديدة، عده "أولاد الصم" مكانا معاديا، قاحلا، ولا حياة فيه، وأن هذه الطبيعة ذات الحضن الدافئ لا تستهويه بل وصفها كبيرهم "بلقاسم الصم" بالأرض القاسية في قوله:"أما نحن فقدرنا أن نبقى في هذه الأرض القاسية"[3]. فالراوي انزاح من كون الريف موطن الرزق والعطاء إلى مكان موحش قاحل لا فائدة فيه.

5-و-جزيرة كاليدونيا الجديدة(المنفى):

تعد جزيرة كاليدونيا الجديدة مكانا معاديا بالنسبة للجد "امحمد الكاليدوني" فهي سبب مأساته وحزنه نتيجة نفيه إليها وإبعاده عن أهله وأحبته ووطنه الجزائر الذي حارب الاستعمار الفرنسي من أجله، ولكن دلالته اختلفت عند حفيده "امحمد شعبان" فنجد أن

[1] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني ، ص: 90.

[2] – المصدر نفسه، ص: 51.

[3] – المصدر نفسه، ص: 96.

كاليدونيا قد انزاحت من كونها مكانا موحشا إلى مكان أليف يشتاق للسفر إليه:"كان يتشوق للسفر إلى تلك الجزيرة التي احتضنت آلام المرحلين"[1].

فرغم ما كابده المنفيون من ضياع وتهميش في هذه الجزيرة، إلا أنه يرى هذا المنفى المكان الوحيد الذي سيحرره من عالمه المقيت، ونجده دائم التساؤل إذا ما كان يستطيع تحقيق حلمه بالسكن في أرض المنافي"وهل سيحقق رغبته... في رؤية حليمة طايب والسكن في الجزيرة الساحرة"[2].

"امحمد شعبان" يجد في جزيرة كاليدونيا الوطن الأم الذي يحتضنه والذي قطع من أجله كل علاقاته وتخلى في سبيله عن ممتلكاته باحثا عن أصوله في هذه الجزيرة التي لا زالت تحمل وشوم أجداده.

[1] – محمد مفلاح: رواية شبح الكاليدوني ، ص: 68.

[2] – المصدر نفسه ، ص: 120.

خاتمة.

من على شرفة ما تقدم من البحث، يمكن الخلوص إلى مجموعة من النتائج، والتي كانت ثمرة محاولاتنا في رصد ظاهرة الانزياح المكاني في رواية "شبح الكاليدوني" للروائي الجزائري المتميز "محمد مفلاح" وهي:

- الانزياح ظاهرة أسلوبية ونقدية متعددة المفاهيم، ترتبط بخصائص اللغة الشعرية المتميزة بطبيعتها عن الكلام العادي، والانزياح خروج عن المألوف أو النمط اللغوي السائد لغاية الابداع والفنية بطريقة إيحائية معبرة.
- يحدث الانزياح في كل مستويات اللغة: على المستوى التركيبي، المستوى الدلالي، وعلى المستوى الصوتي.
- الانزياح حيلة مقصودة لجذب انتباه القارئ، وتحقيق المفاجأة بغير المتوقع.
- المكان هو أحد المكونات الأساسية في الرواية، فهو الحيز والفضاء المؤطر للأحداث والشخصيات.
- جاءت هذه الدراسة لتكشف جانبا مهما في رواية "شبح الكاليدوني" لـ"محمد مفلاح" وهو المكان الذي غدا ظاهرة بارزة في أعماله الأدبية. فجلها تصب في البحث والتنقيب فيما أغفلته السلطة وغيبه التاريخ، ولقد حاولنا الكشف عن الانزياحات التي قام بها على مستوى الأمكنة؛ محاولين بذلك منحها شعرية وجمالية، حيث أحسن "محمد مفلاح" التعامل معها بفضل ما يملكه من إحساس وعاطفة متوهجة وما له من قدرة إبداعية متفردة في خلق أجواء خيالية إيهامية أعانته في إيصال فكرته وتعميقها في ذهن المتلقي، وإفساح المجال أمام هذا الأخير، وتحريضه في العملية الإبداعية من خلال التأويل، وقد كان هذا الكشف من خلال آليات: أنسنة المكان، تغريب المكان، شعرنة المكان، أنثنة المكان إضافة إلى الانزياح في دلالات المكان.
- فمن خلال أنسنة المكان وجدنا أن الراوي قد قدم رؤيته الجمالية للعالم والأشياء حيث جعل من المكان إنسانا يؤثر ويتأثر.

- تمكن السارد من خلال تغريب المكان: التعبير عن رؤاه وأفكاره وسخطه جراء الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية الراهنة.
- لجأ الراوي إلى وصف المكان لتعزيز شعرية اللغة في نصه وهو ما ينم عن مستوى عال من التمكن الإبداعي.
- العنوان مفتاح يقني يجس به نبض النص، من أجل استنطاقه والولوج في أغواره. ولم يخل من أبعاد ودلالات المكان، فجاء منحازا نحو دلالات تغريبية.
- تعددت آليات توظيف التناص المكاني، خاصة الديني والأسطوري عند "محمد مفلاح"، وهذا يدل على سعة إطلاعه وأنه شخصية واعية متشربة بمنابع الثقافة المعاصرة؛ وأدى ذلك إلى تشرب المكان بدلالات المكان الغائب المستحضر وانزاحت دلالته نحوه بشكل واضح.
- لجأ الراوي إلى الصورة الشعرية في النص للتعبير، فصور معاناة البطل من الخوف، اللااستقرار، الاغتراب والاستلاب، وعوض ذلك بالهجرة إلى منفى جده كاليدونيا الجديدة.

كانت هذه أهم النتائج التي توصلنا إليها في دراستنا للانزياح المكاني؛ وقد سعينا جاهدين إلى إتمام هذه الدراسة والإحاطة بها من كل جانب، نسأل الله أن نكون قد وفقنا في إعطائها حقها، وهذا ما ننشده ونبتغيه.

وأبواب هذه الدراسة تبقى مفتوحة، أمام كل من أثارت اهتمامه هذه الظاهرة، لأن مجالها واسع وقابل لإضافات جديدة تخدم اللغة والأدب.

قائمة المصادر والمراجع.

- القرآن الكريم برواية ورش.

- **المصادر:**

- محمد مفلاح: راوية شبح الكاليدوني.

- **المراجع :**

أ-المراجع العربية:

1. أحمد رحيم: المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1433هـ 2012م.

2. أحمد عزّاوي: بناء الشخصية في الرواية، منشورات إتحاد كتاب العرب، ط1 2007 م.

3. أحمد محمد ويس: نحو معيار الانزياح، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، 1999م.

4. بان البنا: الفواعل السردية، دراسة في رواية الإسلامية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، ط1، 2009م.

5. جبران مسعود: الرائد، دار العلوم للملايين، ط 7، آدار-مارس، 1992 م، د.ص.

6. جعفر الشيخ عبوش: السرد ونبوءة المكان، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1 2015م.

7. حبيب مؤنسي: فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية إتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق سوريا، 2001م.

8. حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدرا البيضاء، ط1، 1990م.

9. حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، درا الفكر العربي، القاهرة، د.ط 1998م.

10. خالد حسين حسين: شعرية المكان في الرواية الجديدة، مؤسسة اليمامة الصحفية ط1، الرياض.

11. خليل أحمد خليل: موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت، لبنان ط1، 1996م.

12. سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م.

13. ـــــــــ: جماليات المكان، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، ط2 1988م.

14. الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي، دراسة روايات نجيب الكيلاني، دار عالم الكتب الحديث، ط1، 2013م.

15. صالح ولعة: المكان دلالته في رواية مدن الملح، عالم الكتب الحيث، ط1، إربد الأردن، 2010م.

16. عبد الحق بلعابد: عتبات (جيرار جينات من النص إلى المناص)، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008م.

17. عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، دار الكتب الجديدة المتعددة، بيروت لبنان، ط5.

18. عبد الله خضر ثير داوود: الانزياح التركيبي في النص القرآني، المجلد 1، دروب ثقافية للنشر والتوزيع، عمان الأردن 2016م.

19. عبد الله خضر حمد: أسلوبية الإنزياح في شعر المعلقات، عالم الكتب الحديث ط1، 2013 م.

20. عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة –قصيدة القراءة–، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، م1، 1900م .

21. ابن فارس بن زكريا اللغوي: مجمل اللغة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986.

22. لفتة ضياء عني: البنية السردية في شعر الصعاليك، دار الحامد، عمان، الأردن ط1، 2009م.

23. محمد علي شوابكة: ثنائيات في السرد ،دراسات في المبنى الحكائي، مادبا مدينة الثقافة الأردنية، ط1، 2012م.

24. مرشد أحمد: أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1 2003م.

25. منيب محمد البوريمي: الفضاء الروائي في الغربة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1983م.

26. موسى ربابعة: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1 2014م.

27. موسى زناد سهيل: الشعر والأسطورة، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد العراق، 2008م.

28. ياسن النصير: إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، د.ط، 1986م.

29. ـــــــــ: الرواية والمكان، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام بغداد، 1986م.

30. يوسف مسلم أبو العدوس: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، عمان، الأردن ط3، 2013م.

ب-المراجع المترجمة:

1. غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة: غالب هالسا، المؤسسة الجماعية للنشر بيروت، لبنان، ط6، 2006م.

2. ويليك ووراين: نظرية الأدب، ترجمة: محي الدين صبحي، د.ط، سوريا، 1972م.

ج- المعاجم :

1. إبراهيم مصطفى: المعجم الوسيط، دار الدعوة، ط1، باب الزاي.

2. جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور: لسان العرب، ضبط وتحقيق: خالد رشيد قاضي، دار الصبح وإيديسوفت بيروت، لبنان، ج12، ط1.

3. الطاهر أحمد الزاوي: مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د.ط، د.ت مادة(مَكَنَ)، ص: 581.

4. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق: محمد المنشاوي، دار الفضيلة، د.ط، د.ت.

5. لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، ط1، 2002 م.

6. مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة زاح.

7. ــــــــــــــــــــــــــ: القاموس العربي، ، مادة:(مَكَنَ).

8. محمد سمير نجيب اللبيدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، دار الفرقان بيروت، 1985م، ط1.

9. مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ج1، 1983م.

10. فيصل الأحمر: معجم السميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر العاصمة ط1، 2010م.

د- الرسائل الجامعية :

1. جوادي هنية: صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، أطروحة دكتوراه إشراف الأستاذ الدكتور: صالح مفقودة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012م-2013م.

2. حسن سليمان: الاتساع في اللغة العربية عند ابن جني، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1995 م.

3. شهيناز بسمة بن زرقة: المكان في القصيدة الجاهلية، رسالة ماجيستير، إشراف: محمد مرناض، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2000م.

هـ - الدوريات والمجلات:

1. يوسف وغليسي: مصطلح الانزياح بين ثابت اللغة المعيارية ومتغيرات الكلام الأسلوبي العربي، مجلة علامات، المجلد 15، عدد 64.

ملحق.

- **سيرة ومسيرة للكاتب محمد مفلاح:**

روائي، وباحث وقاص جزائري من مواليد 28 ديسمبر 1953م، أنجز العديد من البحوث حول منطقة غليزان، يعيش إلى حد الآن بهذه المدينة التي ألهمت كتاباته الإبداعية وأنجز بها كل أعماله المتعلقة بتاريخ وتراث منطقة غليزان، وله أعمال إبداعية كثيرة على مستوى القصة والرواية.

ومن أعماله نذكر:

1- الانفجار، نشرتها مجلة آمال سنة 1983م، والطبعة الثانية سنة 1984م، نالت الجائزة الثانية في الذكرى العشرين لاستقلال الجزائر، ترجمت إلى اللغة الفرنسية وصدرت عن منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين سنة 2002م.

2- بيت الحمراء، صدرت سنة 1986م، عن المؤسسة الوطنية للكتاب.

3- زمن العشق والأخطار، صدرت سنة 1986م.

4- هموم الزمن الفلاقي، صدرت عن مجلة الوحدة سنة 1984م، وصدرت في طبعتها الثانية سنة 1986م، نالت طبعتها الأولى الجائزة الأولى في مسابقة للذكرى الثلاثين لاندلاع الثورة.

5- الانهيار، صدرت سنة 1986م.

6- خيرة والجبال، صدرت سنة 1988م.

7- الكافية والوشام، صدرت سنة 2002م.

8- الوساوس الغريبة، صدرت سنة 2005م.

9- عائلة من فخار، صدرت سنة 2008م.

10-شعلة المايدة، 2010م.

11-انكسار، 2010م.

12-هوامش الرحلة الأخيرة، 2012م.

13-سفاية الموسم(الدروب المتقطعة)، سنة 2013م.

14-همس الرمادي، 2013م.

15-سفر السالكين، 2014م.

16-شبح الكاليدوني، 2015م.

ولديه مجموعة من القصص القصيرة وقصص الأطفال نذكر منها:

1- السائق، طبعت مرتين الأولى عن المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1983م والثانية عن دار قرطبة سنة 2009م.

2- أسرار المدينة، صدرت سنة 1991م.

3- الكراسي الشرسة، صدرت سنة 2009م.

4- اللؤلؤة، صدرت عن دار الساحل سنة 2013م.

5- قصص الحيوانات، سنة 2013م.

أما بالنسبة لأبحاثه التي قام بها ومؤلفاته حول التاريخ نذكر:

1- شهادة نقابي، صدر عن دار الحكمة سنة 2005م.

2- سيدي الأزرق بلحاج رائد ثورة 1864م المندلعة في منطقة غليزان، صدر عن دار هومة سنة 2005م.

3- أعلام منطقة غليزان، صدر سنة 2006م.

4- شعراء الملحون بمنطقة غليزان(تراجم ونصوص)، صدر سنة 2008م.

وغيرها من الأعمال التي اقترح فيها "محمد مفلاح" مشاهد من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، وكذلك بعض الممارسات السياسية المحلية والوطنية، كما لا ينسى الشأن العربي والدولي وتأثيرات الربيع العربي والخراب القيمي والمادي الذي تشهده الخارطة العربية ليرغم القارئ على التفاعل الفكري مع نصه، والانتقال الفني والدلالي بين الأمكنة والأزمنة والملامح الاجتماعية والقناعات السياسية والقيم التاريخية.

- **ملخص الرواية:**

رواية "شبح الكاليدوني" رواية تاريخية مقسمة إلى ثلاثة وعشرين مقطعا بث فيها الراوي "محمد مفلاح" حقائق المنفيين إلى كاليدونيا الجديدة في الفترة الكولونيالية الفرنسية.

وقد خص "محمد مفلاح" البطل "امحمد شعبان" لخوض غمار البحث عن قبر أحد المنفيين والمتمثل في جده "امحمد المنفي".

تفتتح الرواية بمشهد شاب في الأربعين من عمره، وهو "امحمد شعبان المنفي"، موظف في قطاع الثقافة يعيش مع أسرته المتكونة من أمه "الحاجة صفية البايلك"، وهي أم كباقي الأمهات تهتم بمستقبل أبنائها، فتحثه على الزواج كي ترى أولاده، وله أيضا أربعة أخوات وجدته "الحاجة نبية الفليتية" التي كانت تخبره عن أمجاد وبطولات الأجداد، بالإضافة إلى أبيه "الحاج عبد القوي" وهو رجل دو إيمان قوي، كما أنه متتبع للأخبار وما يجري في العالم، حريص جدا على تاريخ الأجداد.

وأهم ما يمز شخصية البطل "امحمد شعبان" هو ما يعانيه من مشاكل اجتماعية، حيث تحدث عن أزمة السكن وعن العمارة المهترئة وعن القاطنين بها، وعن حلم سكانها في الحصول على سكن جديد، بالإضافة إلى مشاكل فكرية وتاريخية سببها رغبته في كشف سر لقبه الغريب "المنفي"؛ وفي ظل حرص والده البحث والسعي للوصول إلى قبر جده "الشيخ امحمد المنفي"، وليسهل عليه الأمر أعطاه ثلاثة رسائل تركها الشيخ المقاوم، معبرا فيها عن معاناته وما لاقاه في المنفى.

بعد إطلاعه على تلك الرسائل عززت روح الاكتشاف لديه، وقرر بدأ رحلة بحثه من مسقط رأس والد جده، فاتجه إلى الريف وعند وصوله افتتن بما رآه من سحر الطبيعة، ولكنه ما لبث أن تبدلت نظرته لذلك المكان، فقد وجد "أولاد الصم" قد استولوا على أرض جده، اكتشف أنهم يكنون لعائلته حقدا دفينا، وفي ظل خيبة الأمل التي طالته بسبب ما فعل "أولاد

الصم" بأرض جده المنفي، وما فعله المستعمر بكُتَابِهِ ومنزله راغبين في طمس الهوية والتاريخ الجزائري.

وواصل "امحمد شعبان" سفره إلى أن وصل إلى الزاوية القادرية أين وجد ضالته فقد قابل أحد أحفاد الكاليدوني، الذي دله على قبر جده، هذا الرجل الاسطوري وبذلك قرر العودة إلى بيت والده ليخبره بأنه عثر على القبر وأن الطريق الذي رسمه له، قد وصل إلى نهايته، ولكن ما يكاد يحقق ذلك حتى يموت أبوه.

وبعد أن قام "امحمد شعبان" بتحقيق رغبة والده، يجد البطل نفسه مسكونا بذكريات وهواجس وأفكار، فيتذكر صديقته "صليحة الحلواجي" التي نعتها بالخائنة، إضافة إلى "حليمة طايب"، التي كانت تعمق فيه الرغبة في الهجرة.

فيشرع في الأخير إلى التحرر من كل ما يكبل كاهله، ويقرر في نهاية الرواية الخلاص من كل التزاماته بدءا من الأسرة والعمل، وممتلكاته المادية مثل سيارته، ليهاجر وحيدا إلى كاليدونيا الجديدة الجزيرة التي لا زالت تحمل وشوم أجداده المنفيين.

فهرس الموضوعات.

البسملة
دعـــــاء
شكر وعرفان
إهـــــداء
مقدمة .....أ
الفصل الأول ـــــــــــــــــــــ ضبط المصطلحات
I. تعريف الانزياح: 2
أ – لغة:.....2
ب – اصطلاحا 3
II. أنواع الانزياح.....9
أولا: الانزياح التركيبي.....9
ثانيا: الانزياح الدلالي.....11
ثالثا: الانزياح الصوتي.....11
III. المكان.....13
أ- لغة.....13
ب- اصطلاحا.....14
IV. بين الفضاء والمكان.....23
أ- الفضاء لغة 23
ب- الفضاء اصطلاحا.....24
V. علاقة المكان بعناصر البناء السردي 24
أ- علاقة المكان بالشخصيات.....24
ب- علاقة المكان بالزمان 25
ج- علاقة المكان بالحدث 26

VI. الانزياح المكاني 27
الفصل الثاني ـــــــــــــــــ تقنيات الانزياح المكاني
1- أنسنة المكان 31
2- تغريب المكان.....36
3- شعرنة المكان.....40
4- أنثنة المكان.....51
5-الانزياح في دلالات المكان.....54
خـــــاتمة 59
قائمة المصادر والمراجع 62
ملحق.....68
فهرس الموضوعات.....74
ملخص.

ملخص.

ملخص

يتناول البحث موضوع "الانزياح المكاني في رواية شبح الكاليدوني لمحمد مفلاح" وقد جاءت هذه الدراسة للكشف عن أهم تجليات الانزياح المكاني الحاصل في الرواية فقامت على مقدمة، وفصلين: فصل نظري كان بمثابة التعريف بالموضوع؛ بعد استقصاء مفهوم الانزياح والمكان وأنواعهما، وفصل تطبيقي كان التركيز فيه على دراسة الانزياح المكاني في الرواية انطلاقا من رصد مختلف الانزياحات المكانية، وأخيرا خاتمة كانت حوصلة للبحث.

وقد اتبعنا في ذلك المنهج الأسلوبي البنيوي الذي يتخذ من لغة الخطاب موضوعا للدراسة.

الكلمات المفتاحية: الانزياح، المكان، الانزياح المكاني، رواية شبح الكاليدوني لمحمد مفلاح.

Cette recherche porte sur le thème de « déplacement spatial dans le roman fantôme uC Muhammad Mvlah » Cette étude est venu révéler les manifestations les plus importantes du déplacement de happening spatial dans le roman a surgi sur l'introduction, deux chapitres: chapitre théorique était une définition du sujet, après le concept de déplacement, le lieu et l'enquête Onoallma, et la séparation d'un foyer appliqué a été L'étude du déplacement spatial dans le roman à partir de l'observation de différents changements spatiaux, et enfin la conclusion était un lien à la recherche.

Nous avons suivi cette approche méthodologique structurelle qui prend le langage du discours comme sujet d'étude.

Mots-clés: déplacement, lieu, déplacement spatial, roman fantôme calédonien par Mohamed Mafallah.